الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ١٠٧ — غرة ذى القعدة ١٣٩٣ هـ — نوفمبر ١٩٧٣ م

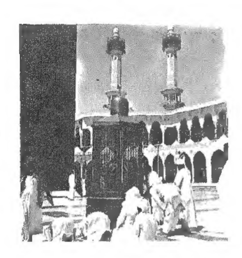




بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه

الدكتور الشريف محمود القطب طبلية
فيلا محمد قطب شارع محمد قطب
المعادى

٢٣ مايو ١٩٧٤



مقام ابراهيم بعد تعديله ..

تصوير : مجلة العربى

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العدد (١٠٧)
نوفمبر ١٩٧٣ م
غــرة ذى القعــدة ٣ ٩ ٣ هـ

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالــكويت فى غــرة كل شـــهر عــربى
الاشتراك السنوى للهيآت فقط
اما الافراد فيشـــتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العــراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجــزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســلات :

مجــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

سمو أمير البلاد

يتفضل بافتتاح دور الانعقاد العادي الرابع للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة

« تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة ، فى السادس من شوال سنة ١٣٩٣ .. وبعد أن أخذ سموه حفظه الله مكانه فوق المنصة تفضل وطلب من الحضور الوقوف لقراءة الفاتحة ترحما على أرواح شهدائنا الابطال على جبهات القتال .. ثم تفضل سموه والقى نطقا ساميا فتح به دور الانعقاد الرابع ، وفيما يلى نصه » :

باسم الله العلى القدير ، وبعونه تعالى وتأييده ، نفتتح دور الانعقاد العادى الرابع للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة . .

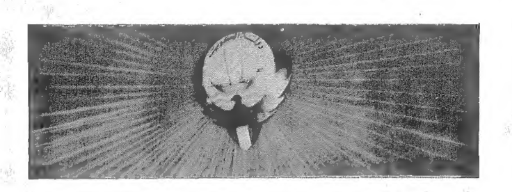
حضرات الأعضاء المحترمين .

نحتفل بافتتاح هذه الدورة وامتنا العربية المجيدة تجتاز أهم فترة تاريخية مصيرية تعتصم فيها بمبادىء العدل والحق والحرية وتعتز بكفاح أبنائها ونضالهم البطولى فى معركة الشرف والخلود .

ولقد سرنى أن مجلسكم قد قام بواجبه الوطنى فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ وطننا العربى وتعاون مع الحكومة فى مواجهة ما يمر به الوطن من احداث كبيرة .

وانى لأود ان يظل التعاون موصولا من أجل خير البلاد ، وأن تسود روح الألفة والمودة جميع اعمالكم توطيدا للديمقراطية السليمة وتحقيقا للمصلحة العامة .

والله تعالى أسأل ان يلهمنا جميعا الصواب فى كافة أعمالنا وأن يوفقنا لتحقيق ما نبتغيه لوطننا العزيز وامتنا العربية من عزة ومجد وازدهار .





حضرة صاحب السمو أمير البلاد يلقى النطق الســامى مفتتحــا دور الانعقاد الرابع لمجلس الامة .



صاحب السمو الامير المفدى ورئيس مجلس الامة ولجنة الاستقبــال أمام مجلس الامة أثناء عزف السلام الاميرى



القى سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية فى الاذاعة الكويتية بمناسبة عيد الفطر المبارك وقد حيا فيها جنودنا الابطال الذين يقفون على خط النار ، واكد على ضرورة المحافظة على وحدة الامة واستمرار الدعم للمجهود الحربي لان مسئولية تحرير الارض المحتلة هى مسئولية الامة كلها وان المعركة لم تنته بعد واشاد بالدول الافريقية التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بالعدو .

ايها الاخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

انتهز فرصة حلول عيد الفطر المجيد ، فأتحدث اليكم بهذه المناسبة الكريمة التى يمجدها المسلمون فى شتى اقطار العالم . والعيد يوم مشهود من ايامنا ومظهر عتيد من مظاهر شعائرنا الاسلامية ، وحضارتنا العربية ، تفضل الله به على الأمة وامتن فيه علينا لنستشعر نعمة الله بعد أن صمنا شهر رمضان المبارك وادينا واجب عبادة قد فرضها الله علينا تزكية لنفوسنا ، وتعميقا للايمان فى قلوبنا .

وتأتى هذه المناسبة الكريمة فى وقت تخوض فيه الأمة العربية معركة الشرف والكرامة ضد عدو غاصب مستهتر ، تدعمه دول باغية وتمده بكل طاقاتها المادية والبشرية .. وقد استبسل الجندى العربى فى المعركة وقاتل بشجاعة وصبر وضحى بروحه ودمه دفاعا عن شرف الأمة العربية وعزتها وكرامتها . وقد شهد العدو بشجاعة جنودنا ومناضلينا الأبطال حيث أبلو بلاء حسنا فى سبيل الله وصدق الله اذ يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » .

واليوم لا يطيب لنا أن نحتفل بالعيد ، ولا أن نزهو بالجديد ما دام العدو يحتل أرضنا ، ويعتدى على مقدساتنا دون احترام للأديان ولا تقدير لحقوق الانسان بل يجب أن تحول احتفالاتنا الى دعم للمجهود الحربى وتأييد للنضال العربى ، فالمعركة لم تنته بعد والطريق بيننا وبين العدو طويل وشاق ويحتاج منا التعاون والتضامن والتساند . واعلموا أن المعركة التى تخوضها مصر وسوريا هى معركتنا جميعا ، واحتلال شبر واحد منها يقع وزره على عاتق المجموع حتى يسترد ، فجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولا تبخلوا بكل عزيز لديكم تحرير وطنكم ومقدساتكم فإن القدس تناديكم وتستغيث بكم « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » .

ولا بأس باخراج الزكاة والصدقات والهبات والوصايا للمجهود الحربى ، كما لا تنسوا فى هذا اليوم العناية بأمر ارحامكم وجيرانكم وما حولكم من الفقراء والمحتاجين والمساكين فان لهم حقا عليكم .

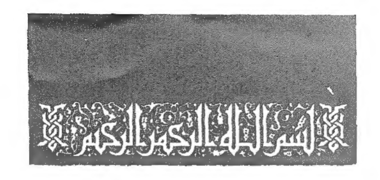
والعيد يذكرنا بمبدأ من مبادىء الاسلام العظيمة وقاعدة من قواعده الجليلة الا وهى وحدة الأمة وتضامنها ووحدة الكلمة ووحدة النضال ، فهم سواء فى السراء والضراء ، فعلى المسلمين أن يتمسكوا برباط الاخوة والايمان ، ومن الواجب عليهم أن يقفوا مع اخوانهم فى وجه أعدائهم فمهما تباعدت ديارهم واختلفت الوانهم فهم اخوة فى الاسلام .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن انوه بموقف الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل بعد أن تبين لها زيف الدعاية الصهيونية . كما أهيب بالدول الأخرى وخاصة التى تضم اكثرية من المسلمين أن تبادر الى قطع علاقاتها باسرائيل وتأييد الحق العربى الذى ينبع من المواثيق الدولية والعلاقات الأخوية فان فى ذلك أقل مشاركة من المسلم لأخيه المسلم .

وفى الختام اوجه تحيتى الى الجنود والضباط والمناضلين الذين يرابطون فى ثغورهم يتلقون الرصاص فى صدورهم نصرهم الله وأيدهم بروح من عنده « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

كما اتوجه الى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الخالصة سائلا المولى عز وجل أن يعيده علينا وعلى الأمة العربية والشعوب الاسلامية بالعز والنصر والبركات .

والسلام عليكم .





باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبة التى وقفنا خلفها عشرات السنين حيارى مترددين .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبـــة التى اضاعت منا فلسطين واخرجتنا من سيناء ، وانتزعت منا الجولان .

باسم الله ، وعون وتوفيق من الله اقتحمنا العقبـــة التى ضربت علينا الذلة والهوان ، وجعلتنا بين دول العالم أضيع من الأيتام على مادبة اللئام .

والعقبة التى اقتحمناهـــا ليست خط بارليف الذى انهار ولا طـــائرات الفانتوم التى تهاوت ، ولا مارد صهيون الذى انطبق عليـــه قمقم سليمان ، انها أخطر من ذلك بكثير .. انها الفرقة التى تجعل من الجبل الأشم ذرات تذروها الرياح .. الفرقة التى تحول السيل الجارف الى قطرات متباعـــــدة صغيرة ، الفرقة التى تذيب الحديد الصلب وتفقده قوته وصلابته . انها الفرقة التى اكتوينا بنارهـــا منذ أمد بعيد ، فاكلت الخـــلافة ، ومزقت الوحـــدة ، وعصفت بالقوة .. لقد اقتحمنا هذه العقبـــة بقوة الايمان وحطمناها بائتلاف القلوب والمشاعر ، وعبرناها بتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة ، وتلك نعمة يجب أن تذكر وتشكر ، ويحرص على بقائها وتثبيتها : ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها)) .

اقتحمنا العقبـــة بالقول والفعـــل . بالدم والمال بالعزيمة الصـــادقة والارادة الماضية . اقتحمناها بالعقل والروية . بالتدبير والتخطيط . وقبل هذا وبعد هذا بتوفيق الله وعون الله .

سقطت العقبة بالتضامن والعمل الموحد . بالمعركة الواحــدة . بقوة الحديد والنار . بالحديد الملتهب فى سيناء بالنار المشتعلة فى الجولان . بالألغام المتفجرة فى قلب فلسطين .. بالمدرعات المصرية والدبابات السورية والمنظمات الفلسطينية والجحافل العراقيــة والحشود الســعودية والقوات الكويتيــة والطائرات الليبيــة والكتائب المغربية والفرق السودانية والتحركات الأردنية .. بدماء هؤلاء جميعا خط الايمان سطور التضامن والتعاون فى تاريخ امتنا المجيــدة .

وتضامننا لم يزلزل العقبة وحدها ، بل زلزل دول العالم وأكرهها على اكبارنا واحترامنا ، والرضوخ لحقوقنا ، وذلك عندما توجت دولنا المنتجــة للنفط هــذا التضامن باستخدام هذا السلاح الرهيب فى المعركة ، فخفضت الانتاج ، ومنعت تصديره منعا كاملا عن الدول الموالية لعدونا .

ان مائة مليون عربى مسلم فى الشرق الأوســط ، يحيط بهم ستمائة مليون مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها يصنعون الأعاجيب ويغيرون ميزان القوى فى العالم لخير الانسانية لو تضامنوا وتعاونوا ، لو اتفقوا واتحــدوا لو أظلتهم جميعا راية الاسلام ، وحكمهم جميعا حكم القرآن .

ولا شك أن هذا التضامن الذى ظهرت تباشيره اليوم يواجه قوى معادية ضخمة ، وتحاك ضده مؤامرات ماكرة خبيثة قد يشارك فيها عن قصد أو جهل أصحاب النظر القصير واللاهثون وراء المنافع الشخصية العاجلة وواجب كل فرد منا على كافة المسئوليات وفى جميع المواقع أن يحرص كل الحــرص على دعم هذا التضامن وتوسيع نطاقه ، وحمايته من كل اضطراب واهتزاز ، وتنميته حتى يتحول الى وحدة شاملة كاملة تحمى الحق والعدل والســلام .

ان الاتحــاد قانون من قوانين القوى الكونية ، فالخيط الواهى اذا انضم اليه مثله ، أصبح قوة قادرة على رفع الأثقال .

ان الله عز وجل الذى انزل فى كتابه اننا خير أمة أخرجت للناس أمرنا قبل ذلك مباشرة بالاعتصــام بدينه فقال سبحانه : ((واعتصــموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) .

والرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم قال : المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله .

والشاعر الحكيم قال :

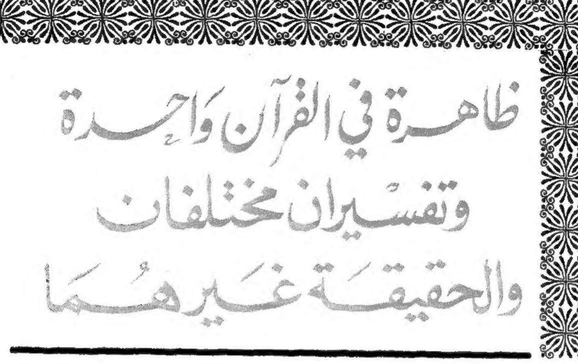
تأبى الرمــاح اذا اجتمعن تكســرا ... واذا افترقــن تكســرت آحــادا

والشاعر المعاصر يقول :

تذوب حشاشات العواصــم حسرة ... اذا دميت من كف (بغداد) اصبع
ولو صدعت فى سفح (لبنان) صخرة ... لدك ذرا (الاهرام) هذا التصدع
ولو (بردى) أنت لخطب مياهــه ... لسالت (بوادى النيل) للنيل ادمع
ولو مس (رضوى) عاصف الريح مرة ... لباتت لهــــا اكبادنا تتقطــع

والأحداث الراهنة تقول : تفرقنا فضعفنا واجتمعنا فانتصرنا .
فالى مزيد من التضامن . الى الوحدة الاسلامية . وانما المؤمنون اخوة .

رضوان البيلى



* قامت دراسات عديدة حول القرآن : من اتباعه .. ومن اعدائه على السواء . وغاية الدراسة بين الفريقين وان اختلفت ، فالظاهرة القرآنية التى تعلقت بها الدراسة من الجانبين كانت واحدة :

فبعض المفسرين يتعقب ما يسميه : « عدم الانسجام » فى آيات الأحكام على الخصوص .. ويخرجه على أن هناك ناسخا .. ومنسوخا ، بينهما . ويصبح ما نسخ : منسوخ الحكم ، دون التلاوة . وكأن فى القرآن من كلام الله : ما يتلى فقط ، دون أن يكون له اعتبار فى واقع حياة المؤمنين به . وعلى سبيل المثال ، يرى هذا الفريق : أن ما جاء فى قول الله تعالى ، فى سورة محمد عليه السلام :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ،

« حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ،

« فاما : منا بعد ، وأما فداء ، حتى تضع الحرب اوزارها » .

.. قد نسخ ما جاء فى سورة الأنفال ــ فى عتاب الرسول عليه السلام فى امر اسرى : « بدر » .. وفدائهم ــ فى قول الله تعالى :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى (ما ينبغى ولا يجوز أن يكون لنبى اسرى فيفديهم بعد ذلك بمال ، حتى يثخن فى الأرض (اى حتى يتمكن ، وتكون له قوة) ..



للأستاذ : الدكتور محمد البهي

« تريدون عرض الدنيا (بالفداء) والله يريد الآخرة (بالثواب) ، والله عزيز حكيم .

« لولا كتاب من الله سبق (أى لولا قضاء من الله تم بشأن هذا الأمر ، وهو العفو والصفح عنكم) لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

. . فالذى جاء فى سورة محمد — وهى متأخرة فى النزول عن الأنفال . . إذ ترتيبها هو ترتيب السورة التاسعة ، بينما ترتيب سورة الأنفال هو الثانية — هذا يجيز الأسر فى الحرب . . والتخيير بعد ذلك : بين المن على الأسرى باطلاق سراحهم . . أو بافدائهم بمال ، أو بأسرى من المؤمنين وهــذا معنى قوله : « فشدوا الوثاق (اى اسروهم) ، فاما منا بعد ، واما فداء » . . هذا الذى جاء فى سورة محمد على هذا النحو : ينسخ — كما يقال — ما جاء فى سورة الأنفال من النهى عن الأسر ، فالفداء . . ومن وجوب قتل ما يقع مــن الأعداء فى الأسر : تقليلا لعدد هؤلاء الأعداء من جانب ، وارهابا للأحيـــاء الباقين منهم من جانب آخر . وهذا هو قوله : « ما كان لنبى أن يــكون له أسرى ، حتى يثخن فى الارض ، تريدون عرض الدنيا » . فالفداء للأسرى فى الحرب لم يكن جائزا فى سورة الأنفال . ثم نسخ عدم جوازه ، وأصبح جائزا فى سورة محمد عليه السلام .

وبعض المستشرقين — من جانب آخر — يســير وراء هذه الظاهــرة القرآنية ، ويراها تنبىء — كما يدعى — عن التناقض فى القرآن . ويتخذ منها دليلا فى ادعائه : على أن محمدا فى تأليفه للقرآن لم يكن على درجة من الوعى، يتفادى معها : الوقوع فى المتناقضات .

والقارىء للدراستين يخرج بوجود ظاهرة قرآنية : يؤولهــا المســلم : بالناسخ والمنسوخ فى القرآن . . ويؤولها الحاقد على القرآن : بالتضاد ، أو التناقض فيه . وفى كل من التأويلين ما يعيب القرآن .

فالناسخ والمنسوخ فى كلام الله فى رسالة واحدة لرســول واحد : يلحق النقص بعلمه جل شأنه . وهو نقص عدم الاستيعاب وعدم الاحاطة . . أو نقص اليقين فى علمه . والتناقض فى القرآن يبعده عن أن يــكون كلام

الله .. وبالتالي يسقط كونه معجزة للرسول عليه السلام .

فهل في القرآن ناسخ ومنسوخ ؟ .. وهل في القرآن تناقض ؟. ام ان هناك منهجا يقوم عليه تطوير المجتمع من وضع .. الى وضع آخر لا يلتقى مع سابقه .. ؟

* والمجتمع اذ ينتقل من وضع الى وضع مقابل له : لا ينتقل فجأة ، ولا دفعة واحدة . وتغييره من وضعه القائم .. الى وضعه المرتقب والمؤمل : يمر بمراحل ، أو بمستويات معينة من التطور . وموضوع التغيير هو : نفوس الافراد .. وظواهر المجتمع معا . وتغيير نفوس الافراد مقدمة لتغيير ظواهر المجتمع : ((**واذا أردنا أن نهلك قرية** (مجتمعا) **امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا**)) .

ومجتمع المؤمنين بالله وحده هو تحول : من مجتمع الجاهلين . والمجتمع الجاهلي تقوم روابط الافراد فيه على المبادلات المادية وحدها .. وعلى عصبية الدم والقرابة .. بينما مجتمع المؤمنين يقوم على الروابط الانسانية . أى يقوم على المشاركة بين الأفراد في المعاني الانسانية من : المودة .. والتعاون .. والمساندة . والمجتمع الجاهلي اذن : اذا كان مجتمعا ماديا فهو : لا انسانى . والمجتمع الايمانى أو الاسلامى اذا لم يكن مجتمعا ماديا ـــ أى لا يقوم على المبادلات المادية وحدها ـــ فهو مجتمع انسانى .

والمجتمع البشرى اذن : اما ان يكون مجتمعا جاهليا ، اى ماديا .. او مجتمعا اسلاميا ، او انسانيا . وانتقال المجتمع البشرى من وضع الى آخر : هو انتقال من الوضع الجاهلي والمادى .. الى الوضع الاسلامى ، أو الانسانى .. او من الوضع الاسلامى أو الانسانى .. الى الجاهلي أو المادى ، على نحو المجتمعات الاسلامية في اوروبا وآسيا ، التى تحولت الى مجتمعات شيوعية إلحادية بعد الحرب العالمية الثانية ، كمجتمع البانيا .

ودور الاسلام فى نقل المجتمع البشرى من جاهلي مادى ، الى اسلامى انسانى : هو دور نفسى .. واجتماعى .. اى يتصل بالافراد ، والمجتمع معا ..

فدوره النفسى هو العمل على ان ترفض الافراد المؤمنة الآن فى اصرار : صفات المجتمع الجاهلي التي كانت تعيش فيه من قبل ، وترفض العودة ثانية الى ممارستها ، والرجوع الى اساليبه فى الحياة .. وفى الوقت نفسه تقبل على صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى التى آمنت به ، وتكون لها عادات تعبر عن هذه الصفات . وصفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى هى على النقيض من صفات المجتمع المادى والجاهلي .

ولذا : القرآن ـــ كتاب الله ومصدر الاسلام ـــ ينبه المؤمنين : الى صفات المجتمع الجاهلي والمادى أولا .. ثم يأخذ طريق التنديد بهذه الصفات .. فالنهى عنها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر .. ثم يدعو الى صفات المجتمع الانسانى أو الاسلامى ويرغب فى التخلق بها .. فالأمر باتباعها بعد فترة من الزمن ، قد تطول وقد تقصر . فمنهجه لتحول الافراد من ماديين .. الى انسانيين ، او مسلمين : يتبع هذه الخطوات ، او يمر بهذه المراحل :

اولا : التعريف بصفات الجاهلين او الماديين .. ثم التنديد بها ،
ثانيا : النهى عن مباشرتها ، وعن العودة اليها ،
ثالثا : الترغيب فى الصفات الانسانية ، او الاسلامية ، التى هى طابع المجتمع الجديد .
رابعا : الأمر باتباعها وعدم التخلي عنها ، ان كان الايمان صادقا بقبول هـذا الوضع الجديد .

وفى هذه الخطوات او المراحل يكون توجيـه القرآن للأفراد توجيهـا مساعدا لهم على تحولهم ، وضمانا لعدم رجوعهم وارتدادهم ، ومتلائما فـى الوقت نفسه : مع المستوى النفسى الذى وصل اليه تطور الأفـراد من خطوة الى خطوة ، ومن مرحلة الى مرحلة اخرى تعلوها . فمثلا : الشح صفة متأصلة فى السلوك المادى . ومن أجل رسوخ هذه الصفة فى نفوس الماديين يصعب عليهم نفسيا : أن يعطوا فى غير مقابل . بل تتطبع نفوسهم من اجل حب المال : بطابع الانانيين الذين لايرون فى الحياة الا ذواتهم .. وأنه ليس لديهم فـى الاحساس ما يمنع : أن يكون غيرهم موضوع استغلال لهم ، ومصدرا لتكديس الأموال من شقائهم . وجاءت فى أوصافهم هـذه الآيات الكريمة فى سورة الفجر :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم .
ولا تحاضون على طعام المسكين .
وتاكلون التراث اكلا لما ..
وتحبون المال حبا جما » .

.. فهم لا يهتمون باليتيم : ان فى شخصه ، وان فى ماله . فيعتدون على ماله ان كان له مال .. ولا يكرمون انسانيته بحسن توجيهه ورعايته ، ان كان عديم المال ،

.. ولا يهتمون بالمسـكين وصاحب الحاجـة .. ويتركونـه يشقى مع الحرمان ، ويصارعه الفقر الى الموت ،

.. ويعتدون على الضعفاء كالنساء والأولاد فى ميراثهم ، ويسلبونهـم حقهم فيه ،

.. ولا يرون فى الحياة الا : المال وحده فيعبدونه . أما الانسانية .. أما القيم العليا فى ترابط الأفراد بعضهم مع بعض ، فلا يرونها اطلاقا هدفا لهـم فى حياتهم ..

وسيطرة الربا فى تعامل الماديين واستغلالهم حاجة المحتاجين .. واكلهم اموال الناس بالباطل .. وادلاؤهم بالأموال الى الحكام لياكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وهم يعلمون : ظاهرة لهـذا الشح الـذى نمتـه المادية فيهم .

فنقل الماديين من الشح .. الى الانفاق من المال فى سبيل الله ، او فى سبيل المصلحة العامة ، أى الى الانفاق فى غير مقابل مادى : يحتاج اولا الى خلخلة هذا الطبع فى نفوس الأشحاء ، وذلك بالتنديد بالشح وبتوضيح اثره السيىء على نفس الشـحيح ، وعلى مجتمعه الذى يعيش فيه .. ثم بترغيبه فى الانفـاق على من لهم حق فى منفعة المال ولا يملكونه : « وآت

ذا القربى : حقه ، والمسكين ، وابن السبيل » .. ثم يفرض المستوى الأدنى من الانفاق ، وهو الزكاة : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله » .

وقد يجد القارىء للقرآن في مرحلة الترغيب في الانفاق العام ــ أى في المرحلة الوسطى قبل الأمر بالزكاة ــ ان الانفاق العام المرغب فيه لا يحد الا بحاجة المنفق . فما تجاوز هذه الحاجة وزاد عنها فهو موضوع الانفاق في غير مقابل ، الا لصالح الأمة وحده : « ويسالونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو » .

والزكاة عندما فرضت : فرضت كعبادة يجب أن تؤدى . ولذا ارتبطت بأدنى مستوى من المال يستطيع المالك له : ان يخرجه . ومع ذلك بقى : « العفو » بجانب : « الزكاة » : في الاعتبار . فالعفو ظل متروكا للمشيئة الفردية ، بينما الزكاة دخلت دائرة الالتزام بأداء الواجب .

وهكذا : نفوس الأفراد تمر بمراحل نفسية مختلفة عند تحولها من الوضع المادى السابق .. الى الوضع الانسانى المرتقب . ومنهج القرآن على نحو ما ذكر له هنا من مواقف معينة : تتجاوب مع كل مرحلة ، وتساعد في الوقت نفسه على الدفع نحو المرحلة التالية : يؤدى الدور النفسي لرسالته .

اما الدور الاجتماعي لهذا المنهج : فان المجتمع عن طريقه اذ تختفي فيه ظاهرة .. تبرز فيه بالتدريج ظاهرة أخرى على الضد ، تماما ، من الظاهرة السابقة . ففيماذكر من الشح : اذ تضعف ظاهرة المادية من شح النفوس : رويدا ، رويدا .. تظهر مكانها : ظاهرة الانفاق في غير مقابل : رويدا ، رويدا ، كذلك ، حتى تصبح سائدة فيه . وعندما تصبح ظاهرة الانفاق سائدة : يكون المجتمع قد تحول بالفعل . وعندئذ يكون منهج القرآن قد أدى دوره الاجتماعي بتغيير ظواهر المجتمع .

* ومنهج القرآن اذ يؤدى دوره النفسي .. ودوره الآخر الاجتماعي : يؤديها من طريق التطوير النفسي ، وليس عن طريق الالزام الخارجي . فهو لا يفرض ، ولا يلزم من خارج الذات . وانما يجعل الذات هى التى تتحرك وتسير نحو الهدف المطلوب ، في يسر .. وفي رغبة ، بل وفي اندفاع في الرغبة .

والنهى .. والأمر : في هذا المنهج ــ أى النهى عن فعل ظواهر المجتمع المادى وصفاته .. والأمر بفعل ظواهر المجتمع الانسانى ، أو الاسلامى وصفاته ــ كل منهما تعبير عن وضع نفسي قائم بالفعل ، وصلت اليه نفوس الأفراد ، بعامل التحريك الذاتى . أى ان النهى .. والأمر في حينهما : يصادفان قبولا .. واستعدادا نفسيا . فاللحظة التى ينهى فيها القرآن المؤمنين به عن فعل شىء كان يفعل فيما مضى ، وهو من ظواهر المادية : يصادف فيها هذا النهى استعدادا نفسيا تكون قد وصلت اليه النفوس بالفعل ، وتكونت فيها رغبة عما نهى عنه الآن . وكذلك شأن : الأمر بشىء ما . فان اللحظة التى يأمر فيها القرآن بفعل شىء مرغوب فيه ، تكون النفوس حينئذ قد وصلت بالفعل الى الرغبة في عمله .

وهذا هو الفرق بين التطور النفسي ، والالزام الخارجى . في التطور

النفسي لا يصادف النهي ، والأمر : عقبة .. أو فراغا في النفوس . وانما يصادف وضعا نفسيا ملائما للنهي أو للأمر . بينما في الالزام الخارجي : يصادف النهي ، والأمر : فراغا في النفوس أو عقبات فيها . أي لا تكون النفوس على استعداد آنئذ لتقبل النهي .. أو الأمر ، والرضا بهما .

وهذا الفرق يتبعه فرق آخر . وهو أن منهج التطوير النفسي لا يحتاج الى قوة تنفيذية وحارسة ، اكتفاء بالقبول النفسي ، والرضاء الداخلي . في حين أن الالزام الخارجي لا ينجح ــ ان نجح مؤقتا ــ الا بالقوة ، والحراسة ، والرقابة المستمرة .

فضلا عن أن منهج التطوير ينطوي على كرامة الذات ، كذات انسانية . بينما الالزام الخارجي ينكر خصائص الانسانية في الذات ، اذ يركز على تحريكها ودفعها مما هو خارج عنها . فينكر بذلك : حريتها ، ومشيئتها .

* ومنهج القرآن في تطوير المجتمع : يرتبط نجاحه بأمرين :

الأمر الأول : الخصائص النفسية ، التي تقوم عليها الدعوة . وأهم هذه الخصائص التزام الصدق .. وتجنب الخداع .. والكشف أولا بأول عن الأخطاء التي تقع في التطبيق ، أو في الانتقال من مرحلة : الى أخرى .. ثم الاستعانة بالوقائع التاريخية وأحداث المجتمعات البشرية .

فعن الخصائص النفسية يرشد القرآن صاحب الدعوة عليه السلام الى رعايتها في قول الله تعالى : ((**قل : لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : اني ملك ، ان أتبع الا ما يوحى الي**)) . وعن الاستعانة بالوقائع التاريخية لا يفتأ القرآن يردد أحداث المجتمعات البشرية السابقة : في توضيح الآثار التي تترتب على مسلك المجتمعات المادية ، عندما تطغى بماديتها وتعتز بقوتها المادية . كمجتمعات : عاد .. وثمود .. ومدين .. وفرعون .. وبني اسرائيل .

الأمر الثاني : القدوة الحسنة للقائم على شأن الدعوة لهذا المنهج ، بحيث تكون قدوته ترجمة واضحة لما يدعو اليه . وكان الرسول عليه السلام القدوة والمثل الأعلى في تطبيق ما أنزل عليه من وحي الله : سواء في تجنب صفات الماديين وظواهر مجتمعاتهم .. أو في العمل بصفات الانسانيين ، وهي صفات المؤمنين عباد الرحمن .

ولأن منهج القرآن كان منهج تطوير للانسان والمجتمع معا ، وكان ما جاء فيه من نهي ، أوامر : ملائما للحالة النفسية التي وصل اليها الأفراد ، وكذلك للحالة الاجتماعية التي وصل اليها المجتمع : أخذ نقل المجتمع على عهد الرسول عليه السلام : من الوضع المادي .. الى الوضع الجديد ، وهو الوضع الانساني أو الايماني : فترة تزيد على العشرين عاما ، ونزل فيها القرآن منجما ، على دفعات . وما نزل في فترة انتهت كان يعالج فيها مستوى نفسيا ، أو اجتماعيا خاصا . وما نزل في فترة تالية ، أو أخرى بعدها كان يعالج وضعا نفسيا ، أو اجتماعيا يختلف عن سابقه . الى أن اكتمل التحول ــ وكانت آيته : فتح مكة ــ فاكتمل منهج التطوير ، أو اكتمل الدين : **اليوم يئس كفروا من دينكم** (أي ولا أمل لهم في ارتدادكم الى مجتمعكم السابق . اذ

مجتمعكم الايماني قد تأكدت معالمه وبرزت شخصيته الايمانية ، أو الانسانية) **فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم** (وهو منهج حياتكم الذى قادها من الوضع الجاهلى السابق .. الى الوضع الايمانى القائم ، وهو يقودها دائما الى هذا الوضع ، عندما تبرز مظاهر المادية من جديد) **وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا** (أى منهجا فى الحياة) » .. وجاءت هذه الآية فى سورة المائدة . وهى السورة قبل الأخيرة فى الوحى المدنى .

واذا كانت مستويات ، وأوضاع المجتمع فى انتقاله من الجاهلية أو المادية .. الى الروحية الانسانية : مختلفة ــ وحتما لا بد أن تكون مختلفة ــ فان ما يأتى من دافع جديد فى منهج التطوير : يحرك النفوس أو المجتمع الى مستوى أو الى وضع أعلى ، قد يكون مختلفا كذلك ، ان لم يكن فى تكرار الدافع السابق ما يساعد على النقلة الى هذا الأعلى ، بين الأفراد ، وفى المجتمع .

ولذا لا يقال : ان حكما لاحقا من نهى ، أو أمر ، قد ألغى حكما سابقا من نهى ، أو أمر كذلك . وانما يقال : ان الحكم السابق بقى له اعتباره ، ولكن لمرحلة معينة وخاصة فى نقل المجتمع . وكذلك الحكم اللاحق له اعتباره فى المرحلة التى جاء هو فيها ، من مراحل المجتمع . على معنى : أن المجتمع الذى أصبح الآن مجتمعا انسانيا ، أو اسلاميا ، اذا طغت عليه ظواهر المادية أو الجاهلية : فان تطويره من جديد .. الى مجتمع انسانى أو اسلامي : فى حاجة الى الأحكام جميعها التى نزلت فى المراحل المتعددة .. تلك الأحكام التى بدا فيها ناسخ ومنسوخ كما يقال ، أو تضارب ، كما يدعى المستشرقون .

وأى ضمان لبقاء المجتمع على وضع واحد لا يتغير ؟. فبعض المجتمعات التى كانت اسلامية فيما مضى قد تغيرت الآن الى مجتمعات مسيحية .. أو شيوعية .

والمجتمعات الاسلامية القائمة هى فى ظواهرها الآن تميل .. الى المجتمعات المادية أو الجاهلية : أكثر من انتمائها الى المجتمعات الانسانية أو الاسلامية .. فلكى تعود الى مجتمعات اسلامية، معبرة عن طابع انسانى : فى حاجة الى تطور من جديد . والتطوير له مراحله . ومراحل التطوير لها ما يلائمها من أحكام فى القرآن ، نزلت منجمة حسب أوضاع المجتمع فى تحوله .

والمجتمعات الاسلامية الآن مختلفة فى مستوياتها وفى أوضاعها : بين : الجاهلية .. والانسانية . وما يأخذ به بعضها الآن من أحكام القرآن ، فى سبيل تطوره : قد لا يلائم بعضا آخر منها ، عندما ينشد الوصول الى المجتمع الاسلامي الصادق .

واذن : القول بالناسخ والمنسوخ فى القرآن : فيه تعطيل لمنهاج الدعوة الاسلامية ، ولمنهج القرآن فى تطوير المجتمع .

أما القول بالتضاد بين الشىء وضده فى القرآن : فقول انسان يلبس ثوب العلماء فى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الأجنبية أو فى ذات المجتمعات الاسلامية . ولكن فى حقيقة أمره : تغلب عليه نزعة الحقد .. أو نزعة الاحتراف بالعلم .. أو وضع القصور فى الفهم .



للدكتور محمد عبد الرءوف

عن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف قال :

« ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، نحن لدان ، ولدنا مولدا واحدا » .

وعن عبد الله بن عباس قال :

« ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبىء يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

كلّ من يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويحرص على اتباع سنته يسعى قدر الامكان ليتعرّف على شخص الرسول الكريم وفضائله واقواله وشمائله ، ويزيد ذلك ترغيبا ما يمتاز به الحديث الشريف من جمال العبارة وروعة الاسلوب وغزارة المعاني .

نستهل صدر هذا المقال بحديثين ، الاول من كلام قيس بن مخرمة وقد رواه الامام الجليل احمد فى مسنده ، وفيه يحدث قيس ان ميلاده وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانا فى عام الفيل وهو عام ٥٧٠ او عام ٥٧١ من التقويم الميلادى على ما

يقولون ، وقوله : « لدان » مثنى « لدة » وهو المساوى فى زمن الولادة . ويذكر عبد الله بن عباس فى الحديث الثانى ، وهو من رواية الامام ابن حنبل ايضا ، ان ميلاد الرسول صلوات الله عليه وعلى آله كان يوم الاثنين ، ثم زاد فافاد بان اياما اخرى من أيام الاثنين شهدت أحداثا جليلة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، فكما كان يوم ولادته كان يوم وفاته ، كما كان يوم أن أفلح بحكمته وفض نزاعا كان ينذر بالشر ، في مكة قبل البعثة حول وضع الحجر الأسود فى مكانه ، وبدأ نزول الوحي عليه في يوم الاثنين ، وبدأ رحلة الهجرة التاريخية من مكة يوم الاثنين، ووصل يثرب التي سماها مدينة رسول الله يوم الاثنين .

قد يقال : كيف نعتبر هذين النقلين من الحديث النبوى مع أنهما ليسا من كلام الرسول نفسه بل من كلام بعض اصحابه ؟ والواقع أن لفظ الحديث كاصطلاح خاص بين العلماء يطلق على كل ما يذكر فيه شىء عن الرسول عليه الصلاة والسلام حتى ما يذكر فيه أوصافه البدنية ، ومن ذلك حكاية أم معبد التى قصت على زوجها ابى معبد فى مساء يوم مبارك بعد أن عاد مع غنمه وذكرت له كيف بورك فى شاتها التى خلفها الجهد عن الغنم ببركة زائر عرج على خيمتها مع صاحبيه ، فادرك أبو معبد أنه صاحب قريش وطلب منها أن تصفه له ، وقد أورد محمد بن سعد القصة فى كتابه : الطبقات الكبرى ، ونقتبس من وصفها للرسول ما يلى :

« رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، متبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، اجود أكحل أزج أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع وفي لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، واذا امر تبادروا الى أمره ، محفود محشود ، لا عابث ولا مفند » .

وإلى جانب هذه المجموعة من الاقوال المأثورة التي تصف شخص الرسول الكريم أو تتحدث عن مراحل حياته صلى الله عليه وسلم هناك مجموعة اخرى تحدثنا عن افعاله صلوات الله تعالى عليه أو تصف فضائله ومواقفه ، ومنها نتخذ العبرة ونستمد القدوة ويستخلص التشريع للأمة ، ولنسق من هذا النوع الحديثي الأمثلة الآتية :

روى مسلم بن الحجاج رضى الله عنه فى صحيحه عن أنس بن مالك قال :

« لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ان أنسا غلام كيس فليخدمك قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشىء لم اصنعه لِمَ لمْ تصنع هذا هكذا ؟ »

وروى ايضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :
« كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اشد حيــاء من العــذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

وروى مسلم كذلك عن موسى بن انس عن ابيه قال :

« ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا إلا اعطاه ، فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا فان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ما خير رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان ابعــد الناس منه ، ومــا انتقم رسول الله صلى الله عليه وســلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله عزّ وجــلّ » .

وروى البخارى ومسلم واحمــد ــ واللفظ له ــ عن البراء بن عازب قال :

« إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اول ما قــدم المدينة نزل على أجداده او اخواله من الانصار ، وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت ، وانه صلى اول صلاة صلاها صــلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه فمرّ على اهل مسجد وهم راكعون ، فقال :

« اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة ، قال : فداروا كمــا هم قبل البيت ، وكان يعجبه ان يحول قبل البيت ، وكان اليهود قد اعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، واهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبــل البيت انكروا ذلك . »

وروى احمد عن ابى عياش الزرقى رضى الله عنه قال :

« كنا مع رسول الله صــلى الله عليــه وســلم بعسفان فاســتقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى بنا رسول الله صــلى الله عليه وسلم الظهــر فقالوا : قد كانوا على حال لو اصبنا غرتهم ، قالوا : تاتى عليهم صلاة هى احب اليهم من ابنائهم وانفسهم ، ثم قال : فنزل جبريل عليه السلام بهذه الايات بين الظهــر والعصر : (وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) قال : فحضرت ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا الســلاح ، قال : فصففنا خلفه صفين ، قال : ثم ركع فركعنا جميعا ، ثم رفع فرفعنا جميعا ، ثم ســجد النبى صلى الله عليــه وســلم بالصف الذى يليــه والاخرون قيام يحرسونهم ، فلمــا ســجدوا وقاموا جلس الاخــرون فسجدوا فى مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، وجاء هؤلاء الى مصاف هؤلاء ، قال : ثم ركع فركعوا جميعا ، ثم رفع فرفعوا جميعا ، ثم سجد النبى صلى الله عليه وسلم والصف الذى يليه والاخرون قيــام يحرســونهم ، فلمــا جلس جلس الاخرون ، فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قا ل: فصلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، مرة بعسفان ومرة بارض بنى سليم » .

ولا يحتوى واحد من هذه الاحاديث على كلمة واحدة من الفاظ الرسول

صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تصف بعض فضائله وأعماله ، فاحدهما يصف حلمه ، وآخر يصف حياءه ، وثالث يتحدث عن كرمه المنقطع النظير ، وتحدثنا أم المؤمنين عن سنته صلى الله عليه وسلم في الأخذ بالأيسر ما اجتنبت المحارم وعن صبره على الأذى إلا إذا انتهكت حرمات الله ، ويذكر الحديث التالي تحويل القبلة الى البيت الحرام وبعض ما حدث عندئذ ، ويفيدنا الحديث الأخير كيف نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين لصلاة الخوف وكيف امّهم فيها ، ويستنبط من هذا النوع من الأحاديث الكثير من مكارم الأخلاق وتفاصيل الشريعة الغراء .

والنوع الثالث من الأحاديث النبوية ما يذكر من فعال أو عادات جرت على عهده ولكن سكت عنها ولم يعترض عليها ، فدلّ سكوته على مشروعيتها وحلها ، ويسمى هذا « تقريرا » ومن ذلك ما يلي :

روى النسائي عن جابر انه قال :

« كنا ناكل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وروى النسائي أيضا في سننه عن أم المؤمنين عائشة قالت :

« إن كان ليكون عليّ الصيام من رمضان فما اقضيه حتى يجيء شعبان » .

فأكل لحم الخيل على عهده صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتراضه عليه يدلّ على حلّه ، كما أن تأجيل السيدة أم المؤمنين قضاء ما فاتها من صيام أيام الحيض من شهر رمضان الى حلول شهر شعبان — مع علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك — يدل على جوازه حيث سكت ولم يعترض عليه ، فانه صلى الله عليه وسلم ما رأى منكرا وسكت عنه ، فمن ذلك ما يلي :

روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال :

« رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال : يعمد أحدكم الى جمرة من النار فيضعها في يده »

وروى مسلم أن عائشة قالت أنها كانت اخذت نمطا فسترته على الباب فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فرأى النمط « عرفت الكراهية في وجهه ، فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : أن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين » قالت : « فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفا فلم يعب عليّ ذلك »

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عرضت أمامه آراء متعارضة أقرّ منها ما هو مشروع فاثبته ، وبذلك ينكر ما عداه ، ومن ذلك ما رواه امام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه عن ابن عمر انه كان يقول :

« كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها ، فتكلموا يوما في ذلك ، فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم : بل بوقا مثل قرن اليهود ، فقال عمر : اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال قم فناد بالصلاة . »

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بالنداء للصلاة دل على تسويغ الأذان ومشروعيته ، كما دل في نفس

الوقت على انكار مـــا اقترح من دق الناقوس او استعمال البوق للدلالة على حضور وقت الصلاة .

وابلغ انواع الحديث واعلاها ما اثر من كلام النبى نفســـه صلى الله عليه وسلم ، فقد اوتى جوامع الكلم، وكانت عباراته فى اعلى درجـــات النقاوة بعد كتاب الله تعالى ، ونسوق من ذلك ما يلى :

روى ابن ماجه ان ابا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيـــه » .

وروى ابن ماجه ايضا فى ســـننه عن حذيفة قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم :

« لا ينبغى للمؤمن ان يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفســـه ؟ قـــال : يتعرّض للبلاء لما لا يطيقه » .

وروى البخارى ومسلم وابو داود ــ واللفظ للبخارى ــ عن عبد الله بن عمر قال : ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : اى الاسلام افضل ؟ قال ــ صلى الله عليه وسلم :

« تطعم الطعام وتفشى الســـلام على من تعرف ومن لم تعرف »

وأخرج مسلم عن صهيب بن سنان رضى الله عنه أن رسول الله عليـــه وسلم قال :

« عجبا لأمر المؤمن ، ان امره كله خير وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصـــابته ضراء صـــبر فـــكان خيرا له » .

وروى الترمـــذى وابـــو داود ــ اللفظ للأول ــ عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وســـلم قـــال :

« بين الكفر والايمان ترك الصلاة »

وروى ابو داود عن جـــابر وابن طلحة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما من امرىء يخذل امرءا فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصـــر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمتـــه الا نصره اللـــه فى موطن يحب فيـــه نصرته » .

ومن هذا القسم العالى من الحديث ما اكده الرسول صلوات الله تعالى عليـــه بنسبته الى اللـــه سبحانه ، ويســـمى بالحديث القدســـى ، وهو كالحديث النبوى . لفظـــه هو لفظ الرســـول صـــلى الله عليه وسلم ومكانته هى مكانة سائر الأحـــاديث النبوية ، فلا يتعبد بتلاوته ولا يحـــرم مسّه او حمله للمحـــدث ولم يتحدّ بلفظه كما تحـــدى بالقرآن الكريم . ولنقتبس من الاحاديث القدســـية ما يلى :

روى الترمذى فى جامعه المسمى ايضا بالسنن ، عن ابى سعد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يقول الرب عزّ وجل : من شغله القرآن وذكرى عن مسالتى اعطيتـــه

افضل ما اعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عزّ وجل قال :

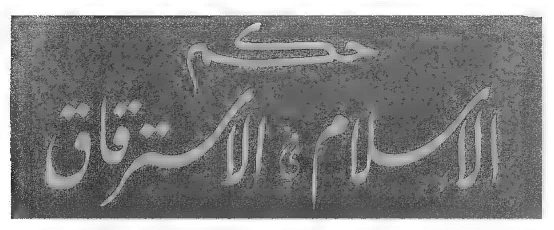
« ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ، وان هم لسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » .

وفى باب صلاة الضحى روى الترمذي عن ابى الدرداء وابى ذر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله عزّ وجل قال :
« ابن آدم ، اركع لى من أول النهار أربع ركعات اكفك آخره » .

واكثر الاحاديث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلقيها شفاهيا فتتلقفها اسماع الصحابة رضوان الله عليهم فتعيها ذاكرتهم ، ولكن بجانب ذلك ما أملاه الرسول الأمىّ عليه الصلاة والسلام من كتب بعث بها الى عماله أو الى الملوك ورؤساء العشائر ومن معاهدات عقدها واتفاقيات ابرمها كمعاهدة الحديبية مع قريش وكدستور المدينة الذى كتب عقب الهجرة والاتفاقات التى عقدها النبى صلى الله عليه وسلم مع بعض القبائل ، ونسوق هنا على سبيل المثال لنختم به المقال كتابه صلى الله عليه وسلم الذى وجهه الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام .

روى هذا مسلم عن ابن عباس ، وقد حدثه به ابو سفيان نفسه وقد تصادف ــ وهو لا يزال بعد يقود معركة قريش ضد النبى صلى الله عليه وسلم ــ ان كان بالشام يوم وصل دحية الكلبى الصحابى الجليل بالكتاب الى هرقل وكان بالشام كذلك ، يحدث ابو سفيان كيف استدعاه هرقل ومن معه من قريش مكة ذاك اليوم ، ليلقى عليه بعض الأسئلة عن محمد ودينه ، وذكر ابو سفيان انه اضطر لقول الحق حيث امر هرقل من مع ابى سفيان من قريش بتصحيح قوله اذا اخطاه الصواب ، وكيف ان اجاباته عن الرسول اثارت اعجاب هرقل فقال :
« ان يكن ما تقول حقا فانه نبى ، وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظن انه منكم ، ولو انى اعلم انى اخلص اليه لاحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمى » ثم دعا هرقل بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرأه فاذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ــ فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الأريسيين ، يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .



الدكتور : احمد الحجى الكردى

قننت الاتفاقات الدولية الحديثة بتحريم الاسترقاق بعد أن كان نظاما شائعا في جميع بلدان العالم منذ أقدم العصور ، ويعتبر العلماء وارباب الفكر في العالم هذا الإلغاء معلما من معالم المدنية الحديثة التي تؤمن بحرية الإنسان والمساواة بين البشر جميعا على اختلاف جنسياتهم والوانهم ودياناتهم ، لان نظام الاسترقاق كان يمثل الطبقة البغيضة إذ هو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

وحيال هذا التحريم اتجهت السلطات في البلدان الإسلامية جميعا الى إهمال تفصيل احكام الرقيق في شتى قوانينها ، بعد أن كانت كتب الفقه تعج بهذه الأحكام ، وذلك لالتزام أكثر هذه الدول بتلك الاتفاقات التي تحرم الاسترقاق .

هذا التفصيل الكامل لاحكام الرقيق في كتب الفقه ، وذلك الإهمال الكامل لها في قوانين البلدان الاسلامية المعاصرة ، قسم المشتغلين بالدراسات الإسلامية حيال حكم الاسلام في الاسترقاق الى قسمين :

■ قسم منهم تمسك بتلك التفصيلات الواسعة لأحكام الرقيق في كتب الفقه ، وجعلها تكأة اعتمد عليها في اتهامه الإسلام بالتخلف والطبقية ، إذ انه يبيح الرق الذي لا يعني إلا الاستعباد من الإنسان لاخيه الإنسان ، ذلك الاستعباد البغيض ، الذي أصبح الفكر الحديث المتحرر يأباه ، ويمجه ، ويكافحه ، وعلى رأس هذا القسم بعض المستشرقين .

■ وقسم منهم تصدى للدفاع عن الإسلام والرد على أولئك ، فأعلن أن الإسلام بريء من هذه التهمة ، وأنه لم يبح الرق في يوم من الايام ، بل إنه رنا الى إلغائه ومنعه ، ونظم الطرق الكفيلة بهذا الإلغاء من تدبير ، ومكاتبة ، واستيلاء ، وغيرها ، وذلك الى جانب سد جميع موارده التي كانت معروفة لدى الأمم السابقة إلا موردا واحدا وهو الأسر في حرب مشروعة ضد الكفار .. وذلك كاف لإنضاب مورده ، وتحرير من بقي من الأرقاء ، هذا الى جانب أن الإسلام لم ينص على إباحة الرق ابدا ، ولكنه جاء فوجده نظاما معروفا متبعا لدى الأمم جميعا فسكت عليه ، من باب الوقوف أمام الأمر الواقع ، ومن باب المعاملة بالمثل لا اكثر من ذلك

ولذلك ينتهي القائلون بتحريم الإسلام للرق من المفكرين الى تقرير حقيقة ثابتة — في رأيهم — وهي أن الإسلام لم يبح الرق في يوم من الأيام ، ولم يكن ليرضى به لو لم يكن موجودا في ذلك العصر شائعا في تلك البيئة ، بل إنه عمل على إلغائه ، ولكن بطريق غير مباشر ، فانضب موارده ، وفتح كل الأبواب للتحرير مما يكفل منعه والقضاء عليه .

ولذلك فانه ما دامت الأمم جميعا قد حرمت الرق اليوم لا بد من القول — في رأى أصحاب هذا القسم —

بأن الإسلام يحرم الرق أيضا بالنظر لزوال الدواعي اليه ، وهي مبدأ المعاملة بالمثل ، والنزول عند الأمر الواقع . وفي رأيي أن كلا القسمين من المفكرين مخطيء فيما ذهب اليه .

■ فالقسم الأول متجن على الإسلام ، إذ الإسلام لا يعرف الطبقية ولا الاستعباد ، وهذا كتاب الله يعلن المساواة التامة بين البشر جميعا في الإنسانية والكرامة فيقول جل من قائل : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وهذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعلن : أن الناس سواسية كأسنان المشط ، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . وهذا أبو بكر — أول الخلفاء الراشدين — يقول في أول خطبة له على الناس : « القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له » .

فأي طبقية يدعيها اولئك بعد هذه المساواة التي أعلنها كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء بعده ؟!

■ والقسم الثاني مخطيء فيما ذهب اليه أيضا اذ يعتبر الإسلام مانعا للاسترقاق محرما له ، لأن مصادر التشريع الإسلامي مليئة بالنصوص المبيحة للرق ، والتي تعتبره الطريقة المثلى للتصرف بالأسرى :

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترق في كثير من غزواته ، وهؤلاء أصحابه رضوان الله عليهم يسترقون من بعده في عدد من غزواتهم ، ولم يخالف في إباحة ذلك واحد منهم ، وهؤلاء ائمة المذاهب الأربعة المعتمدة لدى المسلمين جميعا ينصون على إباحة الرق، ويعتبرونه شرعا ثابتا محكما لا يقبل النسخ ، بل ان جل هؤلاء العلماء ينص على أن النساء والذراري إذا أسروا رقوا حكما من غير ضرب للرق عليهم ، أي أن الرق بالنسبة اليهم هو الطريق الوحيد للتصرف بالأسرى الذي لا يعدل عنه الى غيره الا لمصلحة غالبة ، أما التخيير ، فهو بالنسبة للرجال المقاتلة خاصة ، حيث يخير الإمام فيهم بين : الإرتقاق ، والمن ، والفداء ، والقتل ، يفعل ما يراه الأحظ للمسلمين ، واليكم نصوصا لأعلام فقهاء المذاهب الأربعة تدل لما أذهب اليه :

جاء في المنهاج للنووي من الشافعية قوله : « نساء الكفار وصبيانهم اذا أسروا رقوا ، وكذ العبيد ، ويجتهد الإمام في الأحرار الكاملين ، ويفعل الأحظ للمسلمين من قتل ، ومن ، وفداء بأسرى أو مال أو استرقاق » .

وجاء في متن سيدي خليل وشرح الدردير المالكي عليه ما نصه : « كالنظر في الأسرى بقتل ، أو من ، أو فداء ، أو جزية ، أو استرقاق .. وهذه الوجوه بالنسبة للرجال المقاتلة، وأما النساء والذراري فليس فيهم الا الاسترقاق أو الفداء » .

وجاء في تحفة الفقهاء للسمرقندي الحنفي ما نصه : « الإمام بالخيار : إن شاء قتل المقاتلة منهم سواء كانوا من المشركين أو من أهل الكتاب ، من العرب أو من العجم ، لأنه قد يكون مصلحة المسلمين في قتلهم ، وإن شاء استرقهم وقسمهم بين الغانمين .. فأما النساء والذراري فيسترقون كلهم ، العرب والعجم فيه سواء ، ولا يباح قتلهم » .

وجاء في المغني لابنقدامة الحنبلي ما نصه : « .. وجملته أن من أسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب :

أحدها : النساء والصبيان ، فلا يجوز قتلهم ويصيرون رقيقا للمسلمين

بنفس السبى ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والولدان (متفق عليه) ، وكان عليه السلام يسترقهم إذا سباهم .

الثانى : الرجال من أهل الكتاب والمجوس الذين يقرون بالجزية ، فيخير الإمام فيهم بين أربعة أشياء : القتل ، والمن بغير عوض ، والمفاداة بهم ، واسترقاقهم .

الثالث : الرجال عبدة الأوثان وغيرهم ممن لا يقر بالجزية فيتخير الإمام فيهم بين ثلاثة أشياء :

القتل ، أو المن ، والمفاداة ، ولا يجوز استرقاقهم ، وعن أحمد جواز استرقاقهم ، وهو مذهب الشافعى » هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة من بعده ، ومذاهب الفقهاء المعتمدة ، ولم يقل واحد منها بمنع الرق وتحريمه ، بل إن أكثر الفقهاء يجعل الرق الطريق الأوحد للنساء والذرارى ، وأحد طرق أربعة لغيرهم .

فكيف يستقيم بعد هذا كله قول لقائل : إن الاسلام يحرم الرق ، أو إن الاسلام لم يبح الرق فى يوم من الأيام ولكنه سكت عليه نزولا عند الأمر الواقع من جهة ، ومن باب المعاملة بالمثل من جهة أخرى ، إن كان الأمر كذلك فلماذا لم يسكت الإسلام عن الخمرة وقد كانت منتشرة أكثر من الرق فى الجاهلية ، بل لماذا لم يسكت عن الربا والقمار وغيرهما من المعاصى التى كانت تملأ حياة الجاهلية ، أعرف الإسلام الخضوع والرضوخ للأمر الواقع فى حكم من أحكامه حتى يعرفه فى الرق ؟ أم كان ثورة قلبت وجه التاريخ وأعادت الإنسانية الى الطريق المستقيم بعد طول انحراف عنه .

يكفينى الآن هذا القدر للرد على أصحاب هذا القول وبيان خطئه ، ولا يضرنى قائله كائنا من كان فان الحق بالدليل يعرف لا بالرجال .

والآن لمتسائل أن يتساءل فيقول : إن كان الإسلام يحرم الظلم ويمنعه ، ويحارب الطبقية والاستعباد وينظم الأحكام الكثيرة للقضاء عليهما ، فما باله يبيح الرق ويجعله الطريق الأوحد أو الأمثل للتصرف بالاسرى ، أليس فى ذلك تناقض ؟

والجواب على ذلك كامن فى استجلاء معنى الرق وأحكامه وغايته فى الإسلام قبل كل شىء ، لأن أمثال هذا المتسائل ينظر الى الرق فى الاسلام بمنظار الرق عند الأمم الأخرى السابقة على الاسلام ويربط فى ذهنه الرق بمعانى العبودية التى كان يعانيها الأرقاء لدى اليونان والرومان ، وبالوان العذاب التى كانوا يذوقونها على أيدى الأسياد الأحرار ، فان فلاسفة اليونان كانوا يعتبرون الرق أمرا أصليا فى الانسان ويقسمون الجنس البشرى الى قسمين : حر بالطبع ، ورقيق بالطبع، ويقولون : إن الثانى ما خلق الا لخدمة الأول . حتى أن أرسطو جعل الرق نظاما ضروريا ، وكذلك كان يفعل الرومان حيث يعتبرون الرقيق مصدرا كبيرا للطاقة الانتاجية التى لا بد منها لإسعاد الأحرار ، او كانوا يعاملونهم بمنتهى الخسة والإيذاء ، وكذلك اليهود فقد كانوا ولا يزالون يعتبرون انفسهم شعب الله المختار ، وأنهم طبقة أعلى من الطبقات البشرية الأخرى ، وكانوا يمتهنون الرقيق أشد الامتهان ، بل إنهم ينظرون الى العالم كله نظرهم للرقيق حيث يعتبرون كل من ليس يهوديا (الجوييم) فى طبقة ثانية بعد طبقتهم ، وأنه ما خلق إلا ليكون مسخرا لمصالحهم .

وعلى هذا أيضا أمر العرب فى الجاهلية ، حيث كان الرقيق لديهم سلعة من السلع تتداوله الأيدى بغية الاستفادة منه فى خبرته وطاقته ،

وكانوا يجعلونهم طبقة ثانية بعد الأحرار ، ولا يثبتون لهم شيئا من الحقوق ، ويبيحون لأنفسهم التصرف بهم على أي وجه كان قتلا وتعذيبا وإيذاء من غير أي مسؤولية .

إن هذا المتسائل ينظر الى الرق في الإسلام بهذا المنظار ، وطبيعي بعد ذلك أن يقف مشدوها حائرا بين عدالة الإسلام وإباحته للرق .

والجواب الحق : هو أن الرق في الاسلام غيره في الأمم السابقة لا مشابهة بينه وبينه إلا في الاسم فقط ، ولا يجوز لهذه المشابهة وحدها أن تخلط بين النظامين ، وتوحد بين المنهجين ، وتجيز النظر الى الثاني بمنظار الأول .

إن الرق في الاسلام يختلف عن الرق لدى الأمم الأخرى في موارده وغايته ، وفي النظرة اليه ، وجميع أحكامه ، وليس في الرق في الإسلام أي معنى من معاني الاستعلاء الممقوت ، أو الطبقية البغيضة ، بل هو مدرسة تربوية أعدت لأناس جانحين انحرفوا عن جادة الصواب والحق ، ولما يتأكد لدينا تأصل روح الإجرام فيهم ، يدخلون اليها ، ويقيمون فيها وفقا لنظام خاص ، وبرنامج معين ، أعد خصيصا لذلك ، يكفل إعادتهم الى طريق الحق والرشاد، حتى اذا ما ثبت صلاحهم ورجوعهم عن طريق الضلال انطلقوا منها الى المجتمع ثانية أعضاء نافعين صالحين ، يشقون طريقهم في الحياة كما يفعل سائر الأحرار من الناس ، مثلهم في ذلك مثل الصبي الذي يرتكب جناية قتل مثلا ، فانه من الجور أن يعاقب عليها بالقصاص لعدم توفر القصد الجرمي في نفسه ، ولكن لا يجوز أيضا إطلاق سراحه وإعفاؤه من الجريمة كليا ، والا اعتاد الاجرام وتربى عليه ، ولذلك فان الحل الأسلم والأعدل والأصلح لمثل حال هذا الجانح أن يحجز في دار إصلاح ، صالحة لتربيته ، وإصلاح نفسه ، وتقويم انحرافه ، حتى اذا ما صلحت نفسه أطلق سراحه فعاد مواطنا صالحا ، وكل طريق في العقوبة غير هذه الطريق خطأ بالنسبة اليه .

وكذلك الأسير فهو محارب محاد لله ورسوله ، متربص بالمؤمنين الذين يتمثل فيهم الحق والنور والحضارة ، فاذا أمكن الله المؤمنين منه كان عليهم أن يقفوا منه موقفهم من الصبي الجانح تماما ، لأنهم إن أطلقوا سراحه عاد ردءا لأهله ، وحربا على المسلمين مرة ثانية ، واصبح قتال المؤمنين بالنسبة اليه عادة وديدنا ، وإن قتلوه كانوا ظالمين له ، لأنه إنسان لم يتوفر فيه القصد الجرمي بيقين ، لأنه قد يكون دفع الى الحرب دفعا ، وقد يكون أقدم عليها جاهلا بأحكام الاسلام وطبيعته وقد .. (1) ولذلك قرر الاسلام ان الطريق الأمثل لمثل حال هذا الانسان أن يوضع في دار إصلاح يتربى فيها تربية إسلامية ، تصلح حاله وتقوم انحرافه وتعيده الى المجتمع عنصرا نافعا صالحا .

ودار الإصلاح هذه هي ما يسمى بـ (الرق) أو بمدرسة الرق — إن صح التعبير — حيث يساوى فيها الأسرى الى بيوت المسلمين التي تعتبر — أو ينبغي أن تعتبر — مدارس إسلامية ، يرى الأسير فيها الإسلام عن قرب على حقيقته مجسدا في افراد هذه العائلة ، من عبادة وإخلاص وحسن معاملة وخلق كريم ، حتى اذا ما انصلحت نفسه فتحت امامه ابواب التحرير — التخرج من مدرسة الرق — فعاد الى المجتمع حرا كما كان بعد أن أصبح إنسانا سويا ، وعنصرا صالحا .

هذا ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم — لتأمين حسن معاملة الأسير الرقيق — بما عهد في المسلم

من خلق ودين يكفيان لكفه عن إيذاء هذا الأسير ، ويضمنان له حسن الرعاية والتوجيه ، ولكنه أوصى به وصية خاصة في أكثر من حديث نبوى شريف ، حتى جعله في أحد الأحاديث بمثابة الأخ الشقيق لسيده — مدير مدرسة رقه — وأمره أن يعامله معاملة أحد أفراد عائلته ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم عليه » .

هل بعد هذه المؤاخاة وهذه الوصية بالرقيق طبقية أو استعباد « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

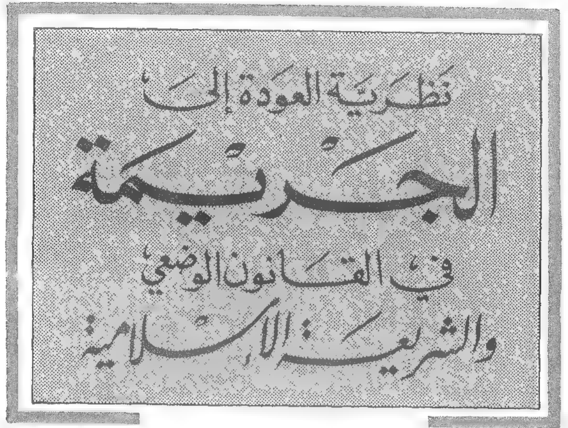
والإسلام لم يقف عند حد العناية بالرقيق وهو رقيق ، ولكنه تعداه الى مرحلة ما بعد التحرير أيضا ، وجعل بين الرقيق ومعتقه صلة كصلة الرحم والقرابة ، وهي صلة الولاء حيث يقول النبي — صلى الله عليه وسلم — : « الولاء لحمة كلحمة النسب » ذلك أن هذا الرقيق الذى تحرر غالبا ما يكون بعد تحرره بعيدا عن أهله ، غريبا عن وطنه ، مما يشعره بوحشة الغربة وألم الفراق ، فعالج الاسلام هذه الناحية في نفس الرقيق المعتق ، وأبدله أهلا خيرا من أهله ، ودارا خيرا من داره ، وجعله ابنا روحيا — إن صح التعبير — لمعتقه ، ينفق عليه إذا احتاج للنفقة ، ويرثه بحق العصوبة اذا توفى ، ولم يكن له عصبة من الاقرباء غيره .

هذا ما اتضح لى أنه حكم الإسلام في الاسترقاق ، وهو اعتبار الاسترقاق مباحا وطريقا مفضلا من طرق التصرف بالاسرى في الاحوال العادية ، وأنه مدرسة تربوية ، وليس معلما من معالم الاستعباد ، كما يظن البعض خطأ . وذلك بشهادة مصادر الفقه الاسلامى التى لا تنضب وهو حكم متفق عليه لدى فقهاء المسلمين على وجه لم يتفقوا فيه على حكم مثله ، إذ لم يرو عن واحد ممن يعتد بقوله من الفقهاء خلاف ذلك سلفا وخلفا ، إلا أقوال ظهرت مؤخرا تقول بتحريم الرق في الاسلام ، غاية أكثر قائليها الدفاع عن الاسلام ، ورفع الشبهات عنه ، ولكنه على كل حال دفاع ضعيف وخاطىء ، ولا مستند له من الفقه نقلا وعقلا كما رأيت ، الى جانب أنه دفاع عن الاسلام بما لم يقله الاسلام ، مما يفتح الثغرة المزعومة أكبر ، والشبهة المختلقة أكثر ، ويجعل بعض المستشرقين ومن يلف لفهم من المتحاملين على الاسلام الحنيف ، يصموننا بالتعصب الأعمى والدفاع الأهوج ، والابتعاد عن الموضوعية ، والنزاهة العلمية التى يدعونها لأنفسهم — ظلما وبهتانا — إذ ندافع عن الاسلام بما ليس فيه ، ونبرئه مما هو فيه ، ذلك أن كثيرين منهم اطلعوا على كتبنا ومصادر فقهنا أكثر من كثيرين منا ، ولن يخفى عليهم أمر نستره عنهم بقشة من تبن .

---

* هذا المقال لا بد أن يثير لدى بعض القراء المثقفين — فيما أقدر — شبهات وتساؤلات ، وانني ارحب بتلقى كل ما يثور فى خلدهم من اشكالات او مناقشات ، واجيب على صفحات هذه المجلة الكريمة .

(١) اذا تيقن الامام من وجود القصد الجرمى فى نفس الاسير جاز له بل وجب عليه قتله ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بأسرى بنى قريظة ، حيث قتلهم لنقضهم العهد الاول معه .



للدكتور احمد على المجدوب

العود الى الجريمة يقع حين يرتكب المتهم جريمة او اكثر بعد الحكم عليه نهائيا من أجل جريمة سابقة ويترتب عليه تشديد العقوبة ، لأن المشرع يقدر ان العقوبة التى سبق أن حكم بها على المتهم من أجل جريمته أو جرائمه السابقة لم تكن كافية لردعه ومنعه من العود الى الجريمة ، فضلا عن أن عودة هذا يدل على استهانته بالقانون واستخفافه بالعقوبة .

وقد طبقت معظم التشريعات العقابية الحديثة هذه النظرية باعتبار ذلك وسيلة ناجحة فى الحد من الزيادة المستمرة فى معدلات الجريمة وخاصة تكرار وقوعها من نفس الاشخاص .

نشاة نظام العود : ـ

كان ظهور نظرية عامة للعود لأول مرة في قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٧٩١ فلم تكن التشريعات العقابية السابقة كالقانون الروماني والقانون الكنسي وقوانين العصور الوسطى المطبقة فى أوربا تعرف نظرية عامة للعود ، بالرغم من انها كانت تهتم بتشديد عقوبة العائد فى بعض الاحوال وبالذات فى جرائم السرقة والجرح ، فقد جاء فى اعلان كونتيليان الرومانى « ان من يجرح شخصا لأول مرة قد يعفى عنه ، أما من يفعل ذلك بعد الحكم

عليه مرتين فانه يعتبر كالقاتل » بينما أصدر الامبراطور شارلمان أمرا يقضي بأن السارق للمرة الأولى تفقأ عينه ، فاذا سرق للمرة الثانية تجدع أنفه ، أما اذا سرق للمرة الثالثة قطعت رأسه ، هذا في فرنسا ، أما في المانيا فانه طبقا لقانون كارولين الصادر سنة ١٥٣٢ كانت عقوبة السرقة للمرة الثالثة تماثل عقوبة السرقة بالاكراه وهي في الحالتين الاعدام ، فاذا كان الجاني رجلا فانه يشنق ، اما اذا كان امرأة فانها تعاقب باغراقها في الماء .

وقد تطورت النظرة الى العود تبعا لتطور الفلسفات العقابية والفكر القانوني الغربي بصفة عامة ، فوضعت له قواعد تعد نموذجا للحلول التقليدية الجنائية ، تضمنتها نصوص القوانين الوضعية التي صدرت منذ نهاية القرن الثامن عشر في أوربا ، وهي القوانين التي تستند أساسا الى المبادىء التي نادى بها مونتسكير وبكاريا . وتقوم على أصول ثلاثة هي المسئولية الأدبية والعقوبة الرادعة وشرعية الجرائم والعقوبات . وقد طالب الفقه التقليدى بأن يتضمن القانون تحديدا دقيقا لشروط العود واثاره مما أثار العديد من المشكلات الفنية التي حاولت التشريعات الصادرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حلها بشكل افضل مما فعلت تشريعات النصف الأول منه .

ومن أبرز المشكلات التي اسفر عنها تطور النظرة الى العود ، المشكلة الخاصة بما اذا كان تشديد العقاب يكون وجوبيا أو جوازيا ، فقد كان قانون العقوبات الفرنسي الصادر سنة ١٨١٠ ، والالماني الصادر سنة ١٨٧١ والمصرى الصادر سنة ١٨٨٣ وكثير من القوانين ، تعتبر العود ظرفا مشددا وجوبيا تمشيا مع مبدأ الشرعية ، الا ان الاتجاه الى التفريد الذى ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي ، ظهر تأثيره في كثير من التشريعات التي اتجه عدد منها الى منح القاضي سلطة تقديرية وجعل التشديد جوازيا ، من ذلك القانون البلجيكى الصادر سنة ١٨٦٧ والقانون المصرى الصادر سنة ١٩٠٤ ، ثم قانون العقوبات الصادر سنة ١٩٣٧ .

وتبعا لذلك فان القاضي لم يعد ملزما بتشديد العقاب اذا توافرت شروط العود، وانما له ان يقدر ملاءمة التشديد أو عدم ملاءمته في كل حالة .

انواع العود : ـ

هناك نوعان من العود ، أحدهما العود العام ، والثاني العود الخاص . ولكل منهما شروطه واثاره في العقوبة ، وتستند التفرقة بين هذين النوعين من العود الى نظرة المشرع الى دلالة العود في الحالتين ، فهي في النوع الأول تكشف عن أن الجاني لم تردعه العقوبة التي وقعت عليه من اجل الجريمة السابقة ، ولذلك يلجأ المشرع الى زيادة مقدار العقوبة دون أن يغير نوعها ، أما في النوع الثاني من العود ، فان المشرع يرى ان وقوعه يدل على احتراف الجاني ارتكاب نوع معين من الجرائم مما يعني شدة خطره على المجتمع فيلجأ الى تطبيق عقوبة من نوع مختلف عليه لعلها تردعه .

آثار العود الى الجريمة :

يترتب على العود الى الجريمة آثار عديدة ، اهمها جواز تشديد العقوبة

على العائد ، أما الآثار الاخرى فهى جواز توقيع عقوبات تكميلية فـــى بعض الجرائم كالوضع تحت مراقبة الشرطة لمدة محددة ووجوب تنفيذ الأحكام فورا على الرغم من استئنافها .

تقدير نظـــام العود :

كان الهدف الرئيسى من فرض نظام العود هو اتخاذ تغليظ العقـــاب وتشديده على المجرم العائد وسيلة لردعه حتى لا يستمر فى طريق الجريمة ، بعد أن تبين أن العقوبة العادية لم تردعه فعاد الى ارتكاب الجريمة وهو ما أدى فى الوقت نفسه الى فرض نظام آخر لتسجيل السوابق باعتباره أمرا لازما فى معرفة ما اذا كانت شروط العود سواء كان عاما أم خاصا قد توافرت بالنسبة للمجرمين أم لا فتشدد العقوبات الموقعة عليهم أولا تشدد .

ولكن لا نظام العود ولا نظام التسجيل أفلحا فى تحقيق الغرض منهما ، فقد دلت الاحصاءات على الارتفاع المستمر فى نسبة العود فى كل بلاد العالم تقريبا ، فضلا عن الزيادة المطردة فى معدلات الجريمة ، مثال ذلك انه فى فرنسا كانت نسبة العود سنة ١٨٢٦ ، ١٦٪ تقريبا ارتفعت الى ٢٦٪ سنة ١٨٤٦ ثم الى ٣٣٪ سنة ١٨٥٥ ووصلت النسبة الى ٥٦٪ سنة ١٨٨٦ ، ثم الى ٦٥٪ تقريبا سنة ١٩٦٨ ، بينما تجاوزت النسبة هذا الحد فى الولايات المتحدة الامريكية فوصلت الى ٦٧٪ ، وهى تتراوح بين ٤٥٪ و ٧٠٪ فى معظم دول أوربا .

أما فى البلاد العربية فان نسبة العود الى الجريمة ليست معروفة على وجه الدقة نظرا لتخلف وسائل التسجيل واساليب الاحصاء الجنائى وكانت المرة الاولى التى أمكن فيها تحديد نسبة العائدين الى الجريمة فى جمهورية مصر العربية حين أجرى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة بحثا للمجرمين العائدين سنة ١٩٧٠ أسفر عن ان نسبة العود تصل الـــى ٢٧٫٥٪ من اجمالى المجرمين .

وفضلا من فشل نظام العود فى تحقيق اغراضه وبلوغ غاياته فان نظام التسجيل الجنائى قد تسبب فى وجود فئة أصحاب السوابق الذين يغلـــق المجتمع ابوابه دونهم فيعودون رغما عنهم الى طريق الجريمة باعتباره السبيل الوحيد لكسب العيش والحصول على الرزق ولا زالت مشكلة السابقة الأولى بدون حل وتقف حجر عثرة فى طريق عودة من اخطأوا الى المجتمع ليستأنفوا حياتهم فيه .

وهذا الوضع الغريب فرض على علماء القانون والجريمة والاجتماع اعادة النظر فى نظام العود ، بعد أن تبين فشله فى تحقيق الأهداف التى وضع من اجلها ، الا أنه لوحظ ان هذه الخطوة قد بدأت بداية خاطئة ، أو بالاخرى بدأت من حيث كان يجب ان تنتهى ، فهى تنظر الى المجرم فى نهاية الشوط ، اى بعد أن أصبح عائدا أو معتادا ، وتبحث فيما يجب أن يتخذ نحوه من اجراءات وهل تشدد عقوبته أو تستبدل بالعقوبة ما يسمى بالتدابير الاحترازيـــة أو الاصلاحية .

وفات هؤلاء العلماء انهم سبق ان قالوا ان عود المجرم سببه فقدان العقوبات للأثر الرادع مما جعله يستخف بها ويعود الى طريق الجريمة ، فكان الأولى أن يشددوا العقوبات عليه من البداية حتى يوفروا لها هذا الاثر الرادع ومن ثم يفكر عدة مرات قبل أن يعود الى ارتكاب الجريمة .

موقف الشريعة الاسلامية من المشكلة :

لا يجب ان نقع فريسة للاحساس المفرط بالتميز أو نستسلم للرغبة فى السبق الى كل شيء ، فنزعم أن شريعتنا الغراء قد عرفت نظام العود ، لأنه ليس بشرط ان تكون كل النظم المستحدثة قد عرفتها شريعتنا أو سبق اليها فقهاؤنا ، خاصة وان بين هذه النظم ما تبين فشله وثبت خطؤه ، ومنها نظام العود الذى تأكد عجزه التام عن تحقيق الاهداف التى وضع من أجلها ، فالشريعة الاسلامية لا تعرف هذا النظام او بالأحرى لا تقره ، والقول بغير ذلك يتنافى بشكل واضح مع عقوبة الحد التى يجب ان توقع كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله دون زيادة او نقصان سواء أكان الجانى يرتكب الجريمة لأول مرة أم يرتكبها لثانى أو لثالث مرة ، فالزانى غير المحصن يجلد مائة جلدة « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** » (سورة النور ـ ٢) واذا عاد الى ارتكاب الجريمة جلد نفس العدد من الجلدات .

كذلك فى حد القذف فان القاذف يجلد ثمانين جلدة « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة** » (النور ــ ٤) فان عاد القاذف الى ارتكاب جريمة القذف عوقب بنفس العقوبة نوعا وقدراً .

ومن يشرب الخمر يجلد ثمانين جلدة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه » وكذلك فى عقوبة السرقة وهى القطع فمالك يرى أن الذى يسرق مراراً ثم يستعدى عليه انه ليس عليه الا ان تقطع يده لجميع من سرق منه ، اذا لم يكن اقيم عليه الحد فان كان قد اقيم عليه الحد قبل ذلك ثم سرق ما يجب فيه القطع (أى عاد الى السرقة) قطع أيضا .

وقد اقتصرنا فى ذكر الحدود على ما يمكن ان يقع فيه عود دون الاحوال التى تكون العقوبة فيها القتل فلا يتصور حدوث عود الى الجريمة كزنا المحصن والحرابة فى الاحوال التى يحكم فيها بالقتل أو بالقتل مع الصلب والردة والبغى .

كذلك فان عقوبة القصاص فى جرائم القتل العمد والجرح العمد لا يتصور فيها التشديد لان هذا يتنافى مع معنى القصاص اى المماثلة ، بحيث يعاقب الشخص بمثل فعله فيقتل كما قتل ويجرح كما جرح « **وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص** » (المائدة ــ ٤٥) ومن ثم فلا يتصور تشديد العقاب فى جرائم القصاص والا انتفت المماثلة .

اما التعازير فبالرغم من ان عقوباتها غير مقدرة وبالتالى يجوز لولى الأمران يشددها فى الاحوال التى يتراءى له فيها ذلك ومنها العود الى ارتكاب الجريمة التعزيرية الا ان ذلك يتعارض مع الاتجاه العام للشريعة الى الدعوة الى التخفيف على العصاة والرحمة بهم وعدم التذكير بجرمهم طالما انهم قد عوقبوا . فقد اعتبر الراى الراجع فى الفقه الاسلامى (الشافعى واحمد ومالك) ان توبة الجانى بعد معاقبته تطهره تطهيرا كاملا ، فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ومن ثم فانه يعود مواطنا عاديا له كل ما للاخرين من حقوق وعليه ما عليهم من التزامات ، وحجة الفقه فى ذلك ان بقاء اى اثر للعقاب يعتبر تغليظا له وقد اعتبروا ان تغليظ الزجر لا ضابط له ، وقد حصلت مصلحة الزجر بالحد ، وكذلك سائر الجرائم جعل الشارع مصلحة الزجر عليها بالحد .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس الذين قالوا للرجل الذى وقع عليه حد الشرب ، اخزاك الله : « لا تقولوا هكذا ولا تعينوا عليه الشيطان ، ولكن قولوا رحمك الله » . مما يدل على أن الاسلام لا يعتبر الجريمة وصمة تعلق بالمذنب الى الأبد وتحيل نهاره الى ليل وحياته الى جحيم وتطارده اينما حل وانما يكتفى بما وقع عليه من عقاب رادع ، لأنه من المعلوم ان عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم الا بمؤلم يردعهم ويجعل الجانى نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله .

وهكذا تلافت الشريعة الاسلامية منذ البداية النتائج التى ادت الى ظهور نظام العود ، وهى فقدان العقوبات الأثر الرادع وبالتالى استخفاف المجرمين بها وعودهم الى ارتكاب الجريمة مثنى وثلاث ورباع بل وعشرات المرات أيضا حتى فى ظل نظام العود الذى يتنافى مع ابسط مبادىء العدالة لان الجريمة التى ارتكبها العائد لا تختلف عن الجريمة ذاتها اذا ارتكبها شخص غير عائد ، ومع ذلك فان المشرع طبقا لنظام العود — يوقع على الاول عقوبة أشد مما يوقعه على الثانى ، وهذا التفاوت بين العقوبات مع استواء الجرائم قبيح فى النظر والعقول ، حتى ولو كان المشرع يأخذ بعين الاعتبار عند التشديد الجرم السابق للعائد ، فان هذا يعنى انه يعاقب على الجريمة الواحدة مرتين ، الأولى حين ارتكبت والثانية حين اعتبر الشخص عائدا لارتكابه الجريمة الثانية وهو ما يتعارض مع مبدأ عدم جواز معاقبة الشخص مرتين من جريمة واحدة .

وهو عكس الوضع فى الشريعة التى جعلت العقوبات كفارات لأهلها ، وطهرة تزيل عنهم المؤاخذة بالجنايات اذا قدموا عليه ، ولا سيما اذا كان منهم بعدها التوبة النصوح والانابة فرحمهم الله بهذه العقوبات أنواعا من الرحمة فى الدنيا والآخرة .

وهذا الوضوح فى موقف الشريعة الاسلامية من العود الى الجريمة لا يقلل منه بحال ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم من انه قال « من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه » وقيل ان القتل يكون فى الخامسة ، لأن هذا الحديث فضلا عن ضعفه فانه فى رأى غالبية رجال الفقه

ومنهم الائمة الاربعة قد نسخ ، وهو ما ذكره الترمذى فى سننه فقال « والعمل على هذا عند عامة أهل العلم ، لا نعلم بينهم اختلافا فى ذلك فى القديم والحديث» ومما يقوى هذا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من أوجه كثيرة انه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه » ، والقول بقيام الاجماع على نسخ هذا الحكم أى قتل شارب الخمر فى الرابعة أو الخامسة يؤيده النووى فى شرحه لمسلم . كذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل العائد الى شرب الخمر فى الرابعة ، بل اكتفى بجلده ، فقد روى بن حزم من طريق النسائى « أخبرنا محمد بن موسى حدثنا زيادة بن عبد الله البكائى حدثنى محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فاضربوه فان عاد فى الرابعة فاضربوا عنقه »، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيمان اربع مرات ، فرأى المسلمون أن الحد قد وقع وان القتل قد رفع كذلك لم يعرف ان احدا من الخلفاء الاربعة قد قتل عائدا الى شرب الخمر ، بل انه حين انهمك الناس فى الخمر وتحاقروا العقوبات فيها ، أى استخفوا بها ولم يتورعوا عن العود الى الشرب لم يذهب صحابة رسول الله فى خلافة عمر بن الخطاب الى القول بقتل العائد وانما اكتفوا بتشديد العقوبة ابتداء ردعا لمن يشرب وزجرا لمن قد تسول له نفسه الشرب ، دون أن يقصروا التشديد على حالة العود ، وهو ما يتمشى مع الاتجاه العام للشريعة من فرض عقوبات رادعة منذ البداية وعدم الاعتداد بالعود .

فقد روى ابو وبره الكلبى قال ارسلنى خالد بن الوليد الى عمر رضى الله عنه فاتيته ومعه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلى وطلحة والزبير رضى الله عنهم فقلت أن خالد بن الوليد رضى الله عنه يقرأ عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا فى الخمر وتحاقروا العقوبة فيه ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسلهم فقال على رضى الله عنه تراه اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفترى ثمانون فقال عمر بلغ صاحبك ما قال فجلد خالد ثمانين وجلد عمر ثمانين .

وهكذا لا نجد حالة واحدة شددت فيها العقوبة على الجانى العائد سواء كانت جريمته حدا أو قصاصا او تعزيرا وهذا ليس تقصيرا من الشريعة وانما هو موقف اتخذته عن وعى واتجاه التزمته عن ادراك من مشكلة الجريمة والعقوبة يتفق مع سياستها فى هذا الشأن التى تتحدد فى فرض جزاءات رادعة منذ البداية ، ثم اتاحة الفرصة كاملة للجانى للعودة الى المجتمع بعد أن كفر عن جرمه ، فاذا عاد الى ارتكاب الجريمة عاقبته بنفس العقوبة وهى بطبيعتها شديدة وكافية اذا تكررت أن تردعه .

وهكذا تكشف الأحداث ويثبت التطبيق العملى لنظريات الغرب كالعود وغيره سلامة اتجاه الشريعة الاسلامية وصحة موقفها ودقة حلولها وصدق نظرتها الى المشكلات .

الوَحْيُ إلى الأنبياء

مراتبه ومظاهره

تحليل الصوت الذي عرفه المسلمون

للدكتور نور الدين عتر

في غار حراء حيث الصفاء الروحي والبعد عن ضوضاء الدنيا كانت المفاجأة التي لقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في الغار تؤذنه بالاصطفاء الالهي له بمقام النبوة والدعوة الى الله لانقاذ الانسانية من وهدتها وضلالها وضياعها الى قيم الايمان الفاضلة والعبودية الحقة لله التي تضع هذا الانسان في موضعه الكريم اللائق به في صلته بربه وفي عزته ورفع شأنه ومكانته في هذا العالم . قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « أول ما بدىءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح « .... »

« حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال فأخذنني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ . فقلت ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكبرم » . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ... » (١)

---

(١) من حديث طويل أخرجه البخارى في أول جامعه الصحيح .

مراتب الوحي وكيفياته :

وقد اشتمل الحديث على هذين الحالين اللذين عرفناهما من انواع الوحي ، وهنالك مراتب وكيفيات عدة ذكر القرآن الكريم اصولها في قوله تعالى : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم** »(٢) .

فدلت الآية على هذه المراتب الجامعة لكيفيات الوحي وانها ثلاث لا رابع لها ، وهي :

١ ــ ان يلقي الله ما يريد القاءه الى النبي مباشرة بطريق خفي سريع دون واسطة .

٢ ــ أن يكلمه من وراء حجاب تكليما .

٣ ــ ان يرسل الملك الى النبي فيلقي اليه ما أمره الله تعالى به .

وقد بحث العلماء في هذه المراتب واستقصوا احوالها فيما ورد في وصف الوحي من الكتاب والسنة ، واوصلوها الى سبع مراتب ينقسم اليها الوحي ويقع بها ، ومنهم من جعلها ثماني مراتب(٣) .

وهذا التعداد الزائد قد يشكل بما نصت عليه الآية من تحديد مراتب الوحي بالثلاث التي عرفناها لكن التأمل والنظر الدقيق يحقق أن لا اشكال في المسألة وان الأمر لا يعدو أن يكون شرحا وتفصيلا للمراتب الاساسية التي ذكرتها الآية يندرج في ضمنها ولا يتجاوز حدها ، كما يتضح من هذا البيان الذي يشرحها :

المرتبة الاولى : الرؤيا الصادقة ، وذلك كما ورد في حديث عائشة « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم » . والوحي في هذه المرتبة اما ان يكون بالقاء الله ، او بواسطة الملك فهو داخل في الآية لا يخرج عنها .

المرتبة الثانية : ان يأتيه الملك فيلقي في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما أخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ... »

المرتبة الثالثة : ان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه فيعي عنه ما يقول ، كما في الحديث المشهور من سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وهو متفق عليه

المرتبة الرابعة : ان يأتيه الملك على حاله الملكية ويوحي اليه ،

---

(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٣) انظر في ذلك الروض الانف للسهيلي ، وزاد المعاد لابن القيم ، والاتقان للسيوطي ، والمواهب اللدنية للقسطلاني ، وشرحه للزرقاني ، وغيرها .

وفي هذه المرتبة يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس ، وكان ذلك أشد الوحي عليه صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الخامسة : أن يأتيه الملك جبريل ويظهر له في صورته الملكية العظيمة التي خلق عليه ، فيوحي اليه ما شاء الله أن يوحيه ، وذا وقع له صلى الله عليه وسلم مرتين ، احداهما في الأرض ، والثانية في السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، كما قال تعالى في سورة النجم : « **ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » .

وهذه المراتب الاربعة التي بعد الأولى كلها صور لمرتبة واحدة لا تخرج عنها ، ذكرها القرآن في قوله تعالى : « أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » .

المرتبة السادسة : كلام الله تعالى للنبي من وراء حجاب ، كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بعد أن استقرت فريضة الصلوات على الخمس فنودي : « أحكمت فريضتي وخففت على عبادي » وكما وقع لموسى عليه السلام : « **وكلم الله موسى تكليما** » .

المرتبة السابعة : كلام الله تعالى للنبي وحيا بلا واسطة ملك ولا حجاب : كما أوحاه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهو فوق السموات من فرض الصلوات ومضاعفة الحسنات الحسنة بعشر أمثالها ، وغير ذلك . وهي مرتبة داخلة في قوله : « **أن يكلمه الله الا وحيا** » أي اعلاما خفيا .

لكن بعضهم استشكل ما وردت به الأحاديث في هذه المرتبة وما قال به أكثر العلماء من أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل ليلة المعراج وكيف يتفق مع قوله : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب** » وليس ههنا حجاب .. ؟

الا أن هذا الاشكال في الحقيقة غير وارد هنا اذا ما علمنا أن الوحي الالهي في هذه المرتبة لا يشبه خطاب الخلق بل هو داخل في قوله الا وحيا ، لأن الوحي اعلام في خفاء ، وقد أبان الامام المفسر البيضاوي عن ذلك في تفسيره لهذه الآية حيث قال يفسر الا وحيا : « كلاما خفيا يدرك بسرعة ، لأنه تمثيل ، ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة » . فأزاح بذلك شبهة خروج هذه المرتبة عن حد الآية الكريمة .

تحليل الصوت عرفه المسلمون قديما :

وهذا القول له دلالة اخرى هامة تتصل بعلوم الطبيعة يجب أن نشيد بها في هذا المقام :

فقد اشتهر بين المثقفين ان تحليل الصوت ومعرفة كونه يتألف من موجات هو أمر جاء الاوربيون وسبقوا به ، وشـــاع ذلك وانتشر حتى لا يظن أحد أن المسلمين عرفوه من قبل اكتشاف الأجهـــزة التى تسجل الاهتزازات والتموجات ، مع أن فى أبحاث المسلمين ما يدل على معرفتهم لذلك : فهذا الامام البيضاوى يبين ان الوحى المباشر من الله ليس من نوع كلام الخلق الذى يتوقف على تموجات متعاقبة ، اذن فقد كان المسلمون على علم بأن الصوت يتكون من موجات صوتية فى عصر البيضاوى بل ومن قبل عصره أيضا ، حيث نجد الامام فخر الدين الرازى يقدم لنا دراسة عن الصوت وتموجاته وأثره المادى والصدى وحدوثه فى كتابه الحافل : « المباحث المشرقية »(٤) ، واذا علمنا أن البيضاوى توفى سنة ٧٩١ هـ والرازى سنة ٦٠٦ هـ تبينا أن المسلمين كانوا على علم بطبيعة الصوت فى عصر كانت اوروبة غارقة فى أوحال التخلف ودياجير الجهل ، اى منذ نحو ثمانمائة عام .

وهذا يرجع الى فضل ما نزل الوحى به على النبى صلى اللـــه عليه وسلم من القرآن المعجز فى بلاغته واسلوبه المعجز فى مضمونه المعجز فى آثاره الانسانية ، حيث نهض بالامم والشعوب من وهـــدة الذل الى العزة والكرامة وانقذها من عبادة الانسان بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومن الجهل المظلم الى العلم النافع المنير(٥) ، ومن التخلف الى الحضارة الكاملـــــة الفاضلة التى تصلح الـــدين والدنيا والاخلاق وترعى حرمة هذا الانسان ، وها نحن نرى العلم الطبيعى يخدم الثقافة فى القرآن ويؤازرها ويبرز فيه اعلام العلوم الدينية فى الاسلام ويدفعون حركة تقدمه الى الامام بخطى واسعة فى حين كـــان ذلك حراما عند غير المسلمين ، ومن حاوله تعرض لأليم العذاب .

مظاهر الوحى :

والوحى فى أى مرتبة من مراتبه أمر عظيم يقتضى من الانسان أن يتجاوز حدود المادة وعالم الشهادة ليتصل بالملائكة وعالم الغيب ، وذلك يقتضى من صاحبه استعدادا يهيئه الله تعالى فى أولئك الأخيار الذين اصطفاهم من خلقه لهذه المنزلة ، وكثيرا ما كان يحدث للنبـــى صلى الله عليه وسلم مشقة شديدة فى التلقى من الملك، قالت عائشة رضى الله عنها : ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله

(٤) ص ٣٠٥ — ٣٠٩ .

(٥) انظر تفصيل موقف القرآن من العلوم الكونية وآثره فى تقدمها فى تقديمنا لكتاب « الرحلة فى طلب الحديث » للخطيب البغدادى .

صلى الله عليه وسلم : « احيانا ياتيني مثـل صلصلـة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد عيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا »(٦) .

قال الامام الزركشي(٧) في « وصـف التلقي من الملك » : « والتنزيل له طريقان : أحدهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملائكة واخـذه من جبريل ، والثاني : ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذ الرسول منه ، والاول أصعب الحالين » .

وقال الحافظ ابن حجر(٨) : « قوله : وهو اشده عليّ يفهم منه ان الوحي كله شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهـو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه ان العادة جرت بالمناسبة بين القائل والسامع ، وهي هنا اما باتصاف النبي بصفة الملك الروحانية وهو النوع الأول ، وأما باتصاف الملك بوصف النبي وهو البشرية وهو النوع الثانـي ، والاول اشد بلا شك » .

ومن آثار الوحي ومظاهره على النبي صلى الله عليه وسلم ما وردت به هذه الاحاديث :

١ ـ ما ذكر في حديث السيدة عائشة الذى رويناه سابقـا .
وأخرج البخاري وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللـه عنهما في قوله تعالى : ((**لا تحرك به لسـانك لتعجل بـه**)) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا احركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، وقال سعيد أنا احركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل : ((**لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه** ـ قال جمعه لك صدرك وتقرأه ـ **فاذا قرأناه فاتبع قرآنه** ـ قال فاستمع له وانصت ـ **ثم ان علينا بيانه**)) ، ثم ان علينا ان تقرأه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما كان قرأ »(٩) .

---

(٦) متفق عليه .

(٧) في كتابه القيم « البرهان في علوم القرآن » ج ١ ص ١٢٩ .

(٨) في فتح الباري ج ١ ص ١٦ .

(٩) أول صحيح البخاري باب بدء الوحي ، وانظر حديث يعلى بن أمية في المعتمر المحرم الذى سأل عمن يحرم في جبة وقد تضمخ بطيب في الصحيحين (كتاب الحج) .

٢ ــ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى سمع عند وجهه دوى كدوى النحل :

عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل ، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال :

« اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وارضنا ، ثم قال : لقد أنزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ، ثم قرا علينا : ((**قد افلح المؤمنون** .. حتى ختم العشر » . اخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى(١٠) .

٣ ــ انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه **الوحى ثقل جسمه حتى يكاد يرض فخذه فخذ** الجالس الى جنبه . اخرج البخارى وغيره عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه : ((**لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله**)) فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها على قال يا رسول الله : والله لو استطيع الجهاد لجاهدت ــ وكان أعمى ــ فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى ، فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ثم سرى عنه فأنزل الله ((**غير اولى الضرر**)) . اخرجه البخارى بلفظه وأحمد وأبو داود وغيرهم(١١) .

٤ ــ انه صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى بركت به راحلته : عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان كان ليوحى الى رسول الله عليه وسلم وهو على راحته فتضرب بجرانها » أخرجه أحمد .

وعن عروة بن الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى

---

(١٠) المسند برقم ٢٢٣ والترمذى فى تفسير سورة المؤمنون، والمستدرك ج ١ ص ٥٣٥ باسنادين احدهما من طريق المسند ، والآخر من غير طريقه ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ج ٥ ص ٢ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلى والبيهقى فى الدلائل والضياء فى المختارة . وانظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧ وتعليق احمد شاكر على المسند ج ١ ص ٢٥٧ .

(١١) البخارى فى التفسير : سورة النساء ج ٦ ص ٤٧ و ٤٨ وفى الجهاد باب قول الله لا يستوى القاعدون ، والمسند ج ٥ ص ١٨٤ وانظر ١٩٠ و ١٩١ وابو داود ج ٣ ص ١١ (الرخصة فى القعود عن الجهاد) وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٤٠ و ٥٤١ .

يسري عنه . أخرجه ابن جرير ، وهو مرسل ، والجران باطن عنق الناقة(١٢) .

اما التلقي للوحي من الله تعالى من غير واسطة فهو أعظم المراتب واسماها شرفا وأكثرها حاجة للامدادات الإلهية لتحمل هذا الموقف وما فيه من الهيبة والعظمة والجلال الالهي مما تخر له الافلاك وتندك الجبال الشم الراسيات كما قال عز وجل : **« لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله »** .

وقد ظل موسى عليه السلام يتأهب اربعين يوما لميقات مكالمة الله اياه . كذلك قام جبريل وميكائيل عليهما السلام باعداد النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الموقف الجليل حين اتياه للاسراء والمعراج .

واذا علمنا ان الله قد اعطى هذه المراتب ومنحها كلها للنبى صلى الله عليه وسلم فان هذا يزيدنا علما بفضل هذا النبى الكريم صلوات الله وسلامه عليه حيث جمع الله له كل مراتب الوحى ما لم يجمع لغيره وخصه فيها بخصوصيات تفرد بها مما يعرف المؤمن ما كان لنبيه من عنايات الله عز وجل وامداداته وما اختصه به من كمالات فضله بها على غيره من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

يوم الوحي :

وقد حض النبى صلى الله عليه وسلم المسلم على أن يجعل ليوم الوحي اهتماما وتوجها خاصا الى الله، بمجاهدة النفس والتصفية لها بصيام مستحب ، تكميلا ومتابعة لمجاهدتها بالصيام المفروض فى شهر رمضان حتى تصفو النفوس من أكدارها وتخلص القلوب وجهتها نحو بارئها سبحانه وتقبل عليه بقوة وعزم وعلى العالم بالمكارم والاصلاح ودعوة الخير الذى نزل به الوحي فى ذلك اليوم ، أخرج مسلم عن أبي قتادة الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين فقال : « فيه ولدت وفيه أنزل علي" »(١٣) .

---

(١٢) انظر الحديثين فى ابن كثير ج ٤ ص ٣٥ . ولهما شاهد فى المسند فى نزول آية « اليوم أكملت لكم دينكم » انظر مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ وانظر تفسير ابن كثير للآية ج ٢ ص ١٢ و ١٣ .

(١٣) فى صحيحه كتاب الصيام ج_٣ ص ١٦٨ .



للأستاذ : عـزت محمد ابراهيم

- كان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، وكانت حجة الوداع تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم .
- فى خطبة الوداع آيات من هدى النبوة ، هى نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم .
- لا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور بتزلف او قربى جل شأنه وعـلا على ذلك علوا كبيرا .
- أعطى رسول الله القدوة من نفسه ، فاعطى بذلك المثل الأعلى ، وكان القدوة الحسنة لمن أتى من الخلفـاء الراشدين من بعده .

كان العرب قبل الاسلام قد احالوا دين ابراهيم الخليل الى ضروب والوان من الوثنية والشرك والتزلف الى الله فهم يقيمون فى جوف الكعبة الأوثان والأصنام يصنعونهـا بأيديهم ، ثم يؤمنون بعد ذلك بقدرتها على النفع والضرر ، ويتوسلون اليها ويتقربون منها ويطوفون بها فى تضرع وخفية ، واذا حجوا الى البيت قدموا الذبائح ، وقربوا القرابين لأصنامهم تلك التى لا رجاء فيها ، ولا فائـدة ترتجى من ورائها .

وجاء الاسلام فطهر بيت الله الحرام من هذا الرجس ، وجعل من الحج اليه معنى ساميا تتحقق فيه أخوة بارة ، ومساواة ظاهرة ، لا يختلف غنى أو فقير فى مظهر أو ملبس والجميع فيه سواسية فى لباس واحد ، واتجاه واحد الى الله عز وجل ، يلبون نداءه، ويسرعون الى رحاب بيته فى أمـن وسكينة .

وكان فتح مكة فيصلا بين عهدين ، فطهر البيت للطائفين والعـاكفين والركع السجود ، وكانت حجة الوداع

تربية وتعليما وارشادا للمسلمين فى مناسكهم : كيف يؤدونها ، وفى حجهم: كيف يقومون به ، على أكمل وجه ، وخير اداء ، ملقين وراء ظهورهم عهد الجاهلية الأولى بما كان فيه من شر ونكر ، وخبث وفساد .

وكان فتح مكة فى شهر رمضان المبارك من سنة ثمان للهجرة ، فدخل النبى عليه السلام بيت الله الحرام ، وطاف حوله وهو على راحلته ، وكان منه يوم الفتح ما هو خليق به من شرف النبوة ، وكريم الشمائل فقد قيل أن سعد بن عبادة كان يهتف يومذاك قائلا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » .

وبلغ الرسول عليه السلام قول ابن عبادة ، فنحاه عن راية المسلمين ، ووكل بها على بن أبى طالب يحملها ويدخل بها مكة .

وقد حسب المشركون أن يكون لرسول الله فيهم يوم انتقام ينادى فيه الدم الدم ، ويأخذ الثار بالثار ، فما كان ما وقع فى حسبانهم ، وانما كان ما ينتظر من عفو عند المقدرة ، وسماحة عند الاقتدار ، فينادى عليه السلام معشر قريش يسألهم عما يرونه فاملا بهم فيقولون : أخ كريم وابن أخ كريم ، فيقول : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ويتناول النبى مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة ، ويدخلها فيجد فيها حمامة من عيدان فيكسرها ، ويقف على بابها يخطب فى الناس فيفتتح خطبته بعبارة التوحيد الذى جاء به الاسلام ، فمحا الشرك محوا ، وقضى على آثاره القضاء المبرم .

« لا اله الا الله ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وها هم أقيال قريش وأشرافها ، وذوو الحسب والنسب فيها ، يسمعون اليه صلوات الله عليه وسلامه . فلا يسمعون تفاخرا بنسبهم ولا اعلاء من شأنهم ، ولكنهم يسمعون قوله يصك أسماعهم : « ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس من آدم ، وآدم من تراب » .

ويتلو عليهم قول الله عز وجل :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ».

وطهر عليه السلام البيت من الرجس ، فكسر أصنام المشركين وحطم أزلامهم ، ومحا صورا يراد بها الشرك بالله أو التزلف اليه ، ولا حاجة لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بتزلف أو قربى ، جل شأنه وعلا عن ذلك علوا كبيرا ، وها هى ذى أصنامهم التى كانوا يدخرونها ليوم كريهة وسداد ثغر ، والتى كانوا يرجون منها الثواب ويخشون العقاب ها هى ذى تتهاوى أمام أعينهم ، فلو كانت تنفع أو تضر ، لنفعت نفسها ودفعت الضر عن ذاتها .

ولعل ذلك هو المعنى الذى قصد اليه تميم بن أسد الخزاعى فى قوله :

وفى الأصنام معتبر وعلم
لمن يرجو الثواب أو العقابا

أما وقد طهر البيت من الرجس ، وخلت جنباته من مظاهر الشرك بالله فقد آن للمسلمين أن يؤدوا فريضة الحج خالصة لوجه الله لا تشوبها

شائبة من تقرب أو تزلف .

وقد أمر رسول الله صاحبه في الغار أبا بكر الصديق على الحج ، بعد أن فرضه الله على عباده لمن استطاع اليه سبيلا ، وكـــان بين المسلمين والمشركين عهد الا يصد عن البيت احد جاءه ، ونزلت براءة ، يبـرأ الله فيها من عهد المشركين ، وقــد كشف لرسوله دخيلة نفوسهم ، وبواطن سريرتهم ، وما تنطوى عليه من حقد دفين للمسلمين ، وتربص بهم .

وقد حمل البراءة الـى أبى بكر الصديق ، على بن ابى طالب ، فلحق به في بعض الطريق ، ليتلو عليـه قول الله عز وجل .

((براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الارض اربعة اشهر ، واعلموا انكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين ، واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الـذين كفروا بعذاب اليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ، ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم احدا ، فاتمـوا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)) .

((يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأن خفتم عيلة فسـوف يغنيكم الله من فضله ان شاء إن الله عليم حكيم)) .

ولم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

وكانت حجة الوداع في السنـة العاشرة من الهجرة ، وقـد عـزم الرسول على أن يحج بالناس ، وسمع الناس من حول المدينة بعزمه عليـه السلام ، فهرعوا اليه ، واجتمع اليه خلق لا يحصـون يصفهم ابن قيم الجوزية بانهم كانوا بين يدي الرسول ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر .

وقد خرج الرسول من المدينـة ظهرا لست بقين من ذى القعدة ، ميمما شطر بيت الله الحرام ، وعرف الناس في حجته تلك مناسك الحج ، يأخذونها عنه ، ويفعلون كما يفعل ، وفيها كانت خطبة الوداع ، فكأنما قد احس عليه السلام بدنو الأجـل ، واقتراب المنية ، فكان في أول خطبته للناس قوله :

» لعلى لا القاكم بعد عامى هـذا بهذا الموقف أبدا » .

وفي الخطبة آيات من هدى نبوته ، هي نبراس لنا نأخذ منها تعاليم ديننا بعد القرآن الكريم ، فهي سنة رسول الله تفصل ما أجمل في كتاب الله ، وتشرح ما استغلق على الناس فهمه وقد حرم الله الربا وأربى الصدقات وجاء في محكم تنزيله قوله تعـالى :

((الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع ، وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عــاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ، ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل كفار اثيم)) .

وجاء في الخطبة وضع كل دم في الجاهلية ، ووضع كل ربا فلا يبقى غير رءوس أموال الناس .

وتكون الحكمة البعيدة ، والبصر النافذ ــ نفحة من نفحات نبوة مشرقة ــ ان يبدأ الرسول بذوى قرباه ، قبل ان يبدأ بغيرهم من الناس ، وكان لعمه العباس بن عبد المطلب أموال عليها ربا فهو أول ما يضع الرسول من الربا ، وكان لبني عبد المطلب دم وذحول عند هذيل في الجاهليـة ، فهو أول دم يبدأ به رسول الله من دماء الجاهلية ، فلا يكون للناس عليه

حجة ، ولا يكون لهم مندوحة عن الامتثال لأوامره وأوامر الله .

(قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وان أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) .

هم عشيرته الأقربون ، ينذرهم فى مجال الدعوة ، والأمر الذى يصدع به ، وهم عشيرته الأقربون ، يبدأ بهم فى مجال القدوة والامتثال ، ويتخذ منهم المثل والشاهد اذا هم أحد أن يلتمس شفاعة فى حد من حدود الله : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

ويتعدى الأمر عشيرته الأقربين وآل بيته الأدنين اليه هو صلوات الله وسلامه عليه ، فيعطى القدوة من نفسه ، ويكون المثل الأعلى فى ذلك ، والقدوة الحسنة لخلفائه الراشدين من بعده ، فيأتى عمر بن الخطاب رجل يستأديه من أمير ضربه ، ويهم ابن الخطاب بالقود منه ، ولا يبالى ما يكون من عمرو بن العاص الذى لا يريد أن يعمل لأمير المؤمنين وهذا شأنه يقيد من أمرائه لعامة الناس ويكون رد عمر بن الخطاب نسجا على منوال رسول الله ، وصاحب الأسوة الحسنة له ، ولخيار المسلمين : « لا أبالى الا أقيد منه ، وقد رأيت رسول الله يعطى القود من نفسه » .

ويمضى الرسول فى خطبة الوداع فيعرض للنسىء ويعده زيادة فى الكفر ، ويبين الشهور ما يحل فيها قتال وما يحرم ، ويبين للناس حقوقهم على نسائهم ، وحقوق نسائهم عليهم :

« ان لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وانكم انما أخذ تموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فانى قد بلغت ، وتركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا : كتاب الله وسنة نبيه .

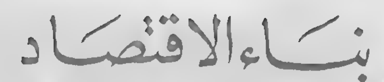
أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم » .

تلك أمانة الله قد بلغها رسول الله لعباده ، وأشهده عليهم .

وتكر أعوام اثر أعوام ، والناس يؤدون فريضة الحج من استطاع منهم السبيل اليه ، فاذا جمعتهم مناسكها عرفوا حكمة الشارع فيها ، واستبانت لهم من جوانبها عبرة تلو أخرى ، وذكروا رسول الله ، واستعادوا ما قاله فى خطبة الوداع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، فاذا العبرة قائمة ، والدرس ظاهر بين يتجدد أوانه ولا يبلى منه جديد .

وهم يأتون من المشارق والمغارب ، ويقطعون الفيافى والقفار ، ويمخرون عباب بحار وأنهار ، ويركبون شتى المراكب : سهلها وصعبها ، فيذكرون فى خشوع وتبتل شاهد حق على صدق الرسالة وصاحب الرسالة : قول الله عز وجل : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » .

وأى منفعة أجل وأعظم من هذه الدروس والعبر يشاهدونها بأعينهم ويلمسونها بأيديهم ، ويطمئنون اليها بقلوبهم .



ربا الفضل في حديث ابن عباس وصلته بنظرية القيمة العادلة !!

للاستاذ زيدان ابو المكارم

نص الحديث :

قال الامام الشافعي في « الرسالة » :

« اخبرنا سفيان ، انه سمع عبيد الله بن يزيد يقول :
سمعت ابن عباس يقول :
اخبرني اسامة بن زيد ، ان النبي قال :
« إنما الربا في النسيئة » .

وقال الامام ابو حنيفة في « مسنده » :

عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن اسامة بن زيد — رضي الله عنهم — قال :
« إنما الربا في النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا باس » .

تخريج الحديث :

رواه الشافعي في (الرسالة) ٢٧٨ ، فقرة ٧٦٣ . وقال محققها الشيخ احمد محمد شاكر — رحمه الله — ما ملخصه :

والحديث رواه الشافعي ايضا في اختلاف الحديث ٢٤١

ورواه أحمد في مسنده (٥ : ٢٠٤) وليس فيه كلمة ((إنمــا)) .

ورواه ايضا مسلم (١ : ٤٦٩) ، والنسائي (٢ : ٢٢٣) ، ولفظ مسلم كلفظ الشــافعي ، ولفظ النســائي : ((لا ربا إلا في النسيئة)) .

ورواه الطيالسي (رقم ٦٢٢) بلفظ الشافعي .

ورواه الدارمي (رقم ٢٥٩٢) ولفظ الدارمي : ((إنمــا الربا في الدين)) .. ثم قال الدارمي : ((معناه درهم بدرهمين)) ، وبوب عليه : ((لا ربا إلا في النسيئة)) .

وورد الحديث من طرق أخرى ، منها في البخاري (٣ : ٧٤ و ٧٥ من الطبعة السلطانية) ، (٤ : ٣١٨ ـ ٣١٩ من فتح الباري) ، وابن ماجــه (٢ : ١٩) أ هـ .

ورواه الامام ابو حنيفة كما رأينــا في مسنده (صفحة ١٥٨) طبعة حلب سنة ١٣٨٢ هـ موقوفا على الصحابي الشاب أسامة بن زيد ، وفيه زيادة « وما كان يدا بيد ، فلا بأس » وهي زيادة ، لها اهميتها فيما يتعلق بفقه الحديث ، وارتباطه بغيره من الأحاديث الأخرى ، كما سنراه في موضعه من الحديث والشرح .

ما يلزم للبحث في شرح هـــذا الحـــديث :

---

١ ـ تخريجه لتعلم منزلته ودرجته من الصحة والقوة ، والاعتداد به في الاحتجاج ، لاستنباط الأحكام الشرعية التي يدل عليهــا ، وقــد تبين ذلك بوضوح مما تقدم .

٢ ـ تحديد زمنه بالنسبة لغيره من الأحاديث التي تشاركه في موضــوع الربا ، حتى يمكن معرفة السابق من اللاحق ، لينتفع بذلك عند التعارض بنفيه عن طريق النسخ ، وهو أحــد الأصول الفقهية المقررة عند العلماء ، فالسابق منسوخ ، واللاحق ناسخ .

٣ ـ بيان معنى الربا ، لغة وشرعا وبيان المراد منه في هذا الحديث ، وبيان انواع الربا عند علماء الفقــه الاسلامي .

٤ ـ بيان مذاهب الفقهاء في الربا ، وعرض آرائهم وأدلتهم التي اعتمدوا عليها من القرآن والسنة ، والقياس .

٥ ـ اثر هذا الحديث في الترجيح بين أدلة الفقهاء ، بما يصل الى غاية التشريع الاسلامي ، الذي تدرج في تحريم الربا ، طوال عصر النبوة ، من أوله الى قبيل قبض النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى بقليل .

٦ ـ بيان الصلة الوثيقة بين الربا المحرم أشد التحريم في القرآن والسنة بجميع انواعه ، وبين (نظرية القيمــة العادلة) .

١ ـ **تخريج الحديث** : وقد علم مما تقدم أنه حديث صحيح ، بل إن الحافظ ابن حجر يقول : « واتفق العلماء على صحة حديث أسامة ، واختلفوا فــي الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد ، فقيل : منسوخ ، لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال » (فتح الباري ٤ : ٣١٨ ، ٣١٩) .

٢ ـ **تحديد زمن الحديث** : نعني : متى قاله النبي صلى الله عليه وسلم ؟

وبالاجابة عن هذا السؤال يمكن معرفة الناسخ من المنســـوخ في الأحاديث المتعلقة بموضوع الربا .

ويوضح اهمية ذلك ما أخرجــــه البيهقي « عن عــلي بن أبي طـــالب ـ رضي الله عنه ـ أنه مر على قاض يقضي .

قال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟

قال : لا .

فقال علي : هلكت ، وأهلكت .

وأخــرج البيهقي مثله عــن ابن

عباس (١) .

إذا تمهد هذا نقول :

إن أول آيـة وجهت الى المؤمنين الخطاب بشأن تحريم الربا هى آيـة آل عمران :

« يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » الآية ١٣٠ . وقد صرحت بتحريم « الأضعاف المضاعفة من الزيادة » وسكتت عما دونها .

وآخر آيات قرآنية خاطبت المؤمنين بشأن تحريم الربا آيات سورة البقرة ، وفيها :

« أحل الله البيع وحرم الربا »

« يمحق الله الربا »

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقى من الربا »

وتحريم الربا فيها عام شامل للأضعاف المضاعفة وما دونها ، بالنص الصريح :

« وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ، ولا تظلمون » .

وآية آل عمران نزلت بعد غزوة أحد فى السنة الثالثة .(٢) .

وآيات سورة البقرة نزلت فى السنة العاشرة ، قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بأقل من ثلاثة أشهر.

فبين نزول الآيتين نحو سبع سنوات ، تدرج التشريع الاسلامى فيها عن طريق السنة النبوية التى أخذت تتتبع ألوان الربا الجاهلى وصوره فى المعاملات ، تحرمها شيئا فشيئا ، حتى لم يبق إلا القليل الذى عنته آية البقرة بالتحريم :

« ذروا ما بقى من الربا » .

وليس من السهل أن نتعرف بالتفصيل على هذا التدرج ، ونحدد زمن تحريم كل معاملة جاهلية فيها ربا ، من الأحاديث النبوية الكثيرة .

ولكننا نعتقد أن بين أيدى المتخصصين فى الحديث وعلومه رواية ودراية ما يمكنهم بدلائل فنية عميقة أن يصلوا الى بعض النتائج فى هذا السبيل ، اذا بذلوا جهودا مخلصة سيكون لها نفعها .

كذلك فان بعض الأحاديث فى موضوع الربا تحمل فى سياقها دلائل تدل على تواريخها ، أو تدل على تقدمها على غيرها أو تأخرها عنه وسنضعها بين يدى القارىء لنتأملها، ونستخرج منها تلك الدلائل ، مهتدين فى ذلك بما نقله البيهقى قال :

« قال الشافعى :

ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ فى القرآن إلا بخبر عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أو بوقت يدل على أن أحدهما بعد الآخر فيعلم أن الآخر هو الناسخ أو بقول من سمع الحديث ، أو الاجماع .

قال : وأكثر الناسخ فى كتاب الله إنما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وهذه هى الأحاديث ، لنتأملها جيدا .

من عبادة بن الصامت قال :

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

« الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، سواء بسواء فاذا اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم ، اذا كان يدا بيد » (٤) .

وفى رواية أبى هريرة زيادة قوله :

« فمن زاد أو استزاد فقد أربى »

وهذا الحديث هو الأصل الذى أخذ منه فقهاء المذاهب أحكام الربا .

وهو يمثل الخطوة الأولى ، ويلزم المسلمين اذا تبايعوا فى صنف واحد من هذه الأصناف ، مثل قمح جيد بقمح ردىء ، يلزمهم بأمرين :

١ — أن يتساويا فى المكيال صاعا بصاع ، وهكذا .

٢ — أن يتقابضا فى المجلس .

والشرط الأول لاتقاء (ربا الفضل).
والشرط الثاني لاتقاء (ربا النسيئة) .

فاذا اختلف الجنسان ، مثل قمح بتمر ، سقط عن المتبايعين الشرط الأول ، وجاز لهما التفاضل ، ولكن يلزمهما الوفاء بالشرط الثاني ، وهو التقابض في المجلس .

فلننظر الى حديث آخر صحيح :

عن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة — رضي الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم: استعمل رجلا على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب وهو صنف جيد ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

أكل تمر خيبر هكذا ؟

فقال : لا ، والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا (الجيد) بالصاعين (يعني من الرديء) والصاعين بالثلاثة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا تفعل ، بع الجمع (الرديء) بالدراهم ، ثم أبتع بالدراهم جنيبا .

وقال في الميزان مثل ذلك (٥) .

وعن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال :

جاء بلال الى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر برني (وهو صنف جيد) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

من أين هذا .. ؟

قال بلال : كان عندنا تمر رديء ، فبعت منه صاعين بصاع ، ليطعم النبي — صلى الله عليه وسلم — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أوه ، عين الربا ، عين الربا ، لا تفعل ، ولكن اذا أردت أن تشتري فبع التمر ببيع آخر ، ثم اشتر به(٦) .

هذه خطوة نبوية جديدة ، لاحقة بغير شك للخطوة الأولى ، أعطت جوازا عن النهي الأول بالعفو عن الشرط الأول فأجازت التفاضل بطريقة غير مباشرة ، وقد عرفنا أن تلك الخطوة الثانية كانت بعد فتح خيبر التي تم للمسلمين الاستيلاء عليها في السنة السابعة من الهجرة النبوية .

وبلال وذلك الرجل لم يبلغهما نهي النبي صلى الله عليه وسلم فعملا بمقتضى العقل والفطرة ، فأعطيا الرديء حقه ، والجيد حقه مباشرة .

وفي هذه الخطوة كما هو واضح تخفيف عن المسلمين ، وتوجيه لهم الى استخدام الدراهم والدنانير معايير أساسية لتقدير قيم جميع الأشياء ، وذلك يعطي الإحساس بالعدل ويمنع من بخس القيم .

ويمضي المسلمون ينفذون أوامر النبوة ، فمن عنده تمر جيد أو رديء ويريد النوع الآخر ، يبيع ما عنده أولا بالدراهم أو بالدنانير ، ثم يعود ليشتري ما يريده من التمر . فليس معقولا أن يرضى صاحب الجيد أن يتساوى تمره بالرديء .

والحكمة فيما يبدو — والله أعلم — أن يتعود الناس على رد القيم كلها الى معيار واحد ، حتى تبدو الفروق واضحة أمام كل متبايعين ، فاذا تمرسوا بذلك وتعودوه ، فلن يكون هناك خوف عليهم من بخس ولا ظلم ، ولا تنازع .

نرجح أن هذه هي الحكمة المتوخاة في التشريع ، بل نكاد نجزم بها ، لما سنرى في الخطوة التشريعية الثالثة .

يجول في الأذهان سؤال طبيعي ، لم هذا المشوار ؟

أفلا يجوز أن يقدر المتبايعان الرديء والجيد ، ويحددا الفرق ، ثم يتبادلا مباشرة ، بتلك القيمة العادلة ؟ بدلا من ذلك البيع الآخر ، الذي يطيل عليهما قضاء الحاجة ؟

وتلك هي الخطوة الثالثة التى أتت فى حديث أسامة .

« إنما الربا فى النسيئة ، وما كان يدا بيد ، فلا بأس » .

يعنى : بيعــوا الصنف الجيــد بالردىء متفاضلا فذلك هو الحق بعد تقــويم كل منهمــا بقيمته العــادلة المعروفة بينكم .

هل ترى بين هذه الخطوات النبوية الثلاث تناقضا فى الأحكام ؟

الم يتضح أن هذا هو ترتيبهــا الزمنى ، من فتح خيبر الى الســنة الأخيرة من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ؟

ارجو أن يعود القارىء الى ما ارشدنا اليه الشــافعى من علامات نعرف بها السابق من اللاحق ، لتمييز الناسخ من المنسوخ ، وهى أربــع أمارات :

١ ـ قول النبى صلى الله عليــه وســلم .

٢ ـ أو الوقت المحدد فيهما أو فى احدهما ، ويعين الترتيب الزمنى .

٣ ـ أو اخبــار الصحابى الذى سمع الحديث .

٤ ـ أو الاجماع .

وذكر فتح خيبر واضح فى الحديثين اللذين يمثلان الخطوة الوسطى للتدرج التشريعى ، فتلك علامة .

ثم رواية أبى حنيفة عن أسامة بن زيد ، وهو راوى الحديث ، والاعلم بتطبيقه ، أمارة أخرى على أن حديثه هو ختام التشريع فى هذا الشأن .

وعن هذا كله صدر ابن عباس ، وقال بقوله فى القيمة العادلة التى لا تبالى بالمساواة الشكلية فى المقدار ، وانما تعنى بالقيمة التى يتحراهــا الشرع عدلا ، بغير بخس ولا ظلم ، ولا غبن ولا مانع من التفاضل الشكلى للوصول الى القيمة العادلة مباشرة .

اليس من واجب كل فقيه ، وكــل عالم ودارس أن يتورع فلا يعود يكرر تلك المقالة التى لا صواب فيها : أن ابن عباس يحل ربا الفضل ؟!

والتى توهم بأنه كان يســتحل محرما ؟!!

إن الفقهاء مجمعون على العمــل بالخطوة الثانية التى وردت فيها حدث من بلال ووالى خيبر ، وما أمرهما به النبى صلى الله عليه وسلم من البيع الآخــر .

والذى اشكل عليهم وعلى بعض الصحابة هو المراد بحديث أسامة ، وقد فسره أسامة فى رواية أبى حنيفة واخذه عنه ابن عباس ، وغيره من الصحابة والتابعين .

إن التفاضل هنا تفاضل شكلى ، وليس تفاضلا حقيقيا ، فالتمر الجيد ليس كالتمر الردىء أبدا ، لا فى عقل ولا فى عرف ، والذهب الخام ليس كالمصنوع حليا ، والعدل يحتم تقدير الجــودة وتقدير الصناعــة ، ولكن بالعدل والقسطاس المستقيم .

---

(١) مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالســنة للسيوطى طبع المنيرية سنة ١٩٥٢ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير المنار ٤ : ٩٥ ، ١٢٢ .

(٣) ص ٣٢ من المرجع السابق (مفتاح الجنة)

(٤) مسلم ١ : ٤٦٥ .

(٥) عمدة الاحكام ، الحديث ٢٧٠ .

(٦) متفق عليــه .



للاستاذ : احمد العنانى

— ١ —

يا شباب المسلمين على سواحل الاطلسي وحتى مشارف الصين .

يا ابناء السمر والصفر ، والبيض والحمر ، وكلهم سواسية .. كلهم ذو شأن وأمر .

يا رجال الحق ، ودعاة السلام والمحبة .

يا أهل القرآن ، واسرة السود والعدالة والمرحمة .

اشرقت مجددا شمس الربيع .

ذابت عن الزهرات الحسان اكداس الصقيع .

انحسر ظل الغفلة ، وانحطم عرب الجهالة .

والمسلمون اضحوا يعيشون الصحو ويحيون تحت شمس النهضة دماء الشهداء ما هدرت .. أصوات الدعاة ما تبددت ..

لقد انبتت ثم اينعت .. ومضى دور وجاء دور ..

مئات السنين مضت الآن على الهجمات البربرية على سواحلنا فى آسيه الغربية .

ومئات مثلها انقضت على العدوان على طرقنا البحرية والتجارية ومئات على المحاولات الخسيسة لمحو هذا الدين فى افريقية وغير افريقية ..

وباء ذلك كله بالفشل ونجا الدين وعاشت لغته العربية ..

واليوم تسقط احدث المحـــاولات الخبيثة الخفية الحاقدة .. لاحيـــاء رجعية نتنة تخطاها ديننا منذ أربعـــة عشر قرنا يريدون أن يقسموا الأمـــة الواحدة الـــى أعـــراق وفصائـــل ، وأجناس وألوان ، واغنياء وفقراء ، وكادحين ومكدوح لهم .

وتأبى كلمة الله الواحد ، وكتاب الله الوطيد المجيد الواحد ، ووقفـــة على عرفات لا تترك لأحد فضلا على أحد بغير التقـــوى وصيام يوحـــد المشـــاعر ويهلـــك الأثرة ويحيي ود الأسرة الكبـــرى ، وصـــلاة لا تقـــر كبرياء لغير الله ، وزكاة تطهر قلوب المعطين والآخذين ، وروح دين أحكمت صنعته قدرة ممـــن له المثل الأعلـــى والأسماء الحسنى والكلمة العليا فى السموات والأرض .

تأبى عبقرية الصنعة الربانية أن يطاولها فى الارض زور المفتريـــن ، وضلالات المغضوب عليهم والضالين ، ويظل الاسلام هـــو دين الفطـــرة السليمة ، ودين الحجة القويمة ، دين المنطق السديد والفكـــر النزيـــه والوجدان العفيف ، دين الحق والعدل والعزة والمرحمة .

— ٢ —

قولوا لهم يا شباب المسلمين :

الستم تقولون بالحاجة الى خلاص العالم من سوء استخدام الصناعات المدمرة ؟

الستم تقولون ان العلم قهر المادة وسخرها ليجعل من العالم وحـــدة تضاءلت فيها المسافات ، وتداعـــت الحواجز ، وليس له فى نهاية المطاف غنى عن وحدة يتعايش فيها الذئـــب والحمل والانسان والثعبان بغير حقد ولا ضرر أو اضرار ؟

اذا فلا حل الا الاسلام لأنه حقـــق التجربة الفذة الوحيدة فى التاريـــخ التى تعايشت فى ظلالها الملل والنحل ، وتصالحت الألوان والأعـــراق ، وتعايشـــت اللغـــات والعـــادات والاذواق .. ولأنه المبدأ الوحيد الذى حفظ للأقليات حقوقها كاملة ، ومكن لها أن تحتفظ بذاتياتها على مدى قرون وقرون .

قولوا لهم ان السلم الرومانى قـــد سقط لأنه قسم الناس الى أربـــاب وعبيد ، وجزأ المواطنة وحقوقها الى أنصاف وأرباع ، وتقضى فى محاكمة بأمشاج من الشرائـــع القائمة علـــى الفروق والتمييز . كذلك سقط كـــل سلم فرضه الوثنيون والاهمـــاج ، وسقط السلم الذى فرضه الاستعمار لأن ركائزه ظلت تغـــوص فى وحول الظلم وتنهض على أسس قلقة مـــن جماجم المقهورين والمستغلين .

ومن البداهة سقوط السلم الذى تفرضه كل صنوف المذاهب الالحادية تماما كما سقط سلم رويس ومـــارا وطغمة السفاحين فى أعقاب الثورة الفرنسية .. ان السلم الوحيد القادر على توحيد العالـــم وتطمين الأســـرة البشرية هو السلم المستند الى شريعة الله المنزهة عـــن الهوى ، المتسامية عن حضيض الانسانية التى ما فتئت تفسد كل سلم يصنعه البشر ..

وأى أمل للناس فى سلام يتلاعب به حق النقض الذى يرفعه المتجبرون فى الارض ســـوطا علـــى رؤوس الضعاف والمتخلفين ؟

— ٣ —

يا شباب المسلمين :

ان الوجيعة الدائمة من فجيعـــة

فلسطين رسالة الم يجب أن يصهر في صميم أنفسكم أخلاط الآثار السلبية للثقافات الشرقية والغربية التي طالما أفسدت تفكيركم ، ودغدغت غروركم وغشت على أبصاركم وسائر حواسكم ..

قولوا لهم بعد اليوم قد كفيتم على أنفسكم وكذبتم علينا طويلا ..

ليس في حضاراتكم أثر لعدالة ولا أمل في سلام ولا رسالة تمت الى الخير .

أيها الملفقون التعيسون ، ياعبدة المادة والاهواء والأنانية والشهوات ... يا قطعان الذئاب التي عاثت في الأرض فسادا وتخريبا .. قد وضح عندنا الصبح ، وتفجرت ينابيع مستجدة في أعماق ذواتنا ..

قد كفرنا بكم ، مهما يكن شأن طياراتكم ودباباتكم ووسائل غطرستكم وتحدياتكم ..

يا شباب المسلمين ..

أيها المرتجون لاستكمال تجديد رسالة العقل ومنابع الايمان في عالم أفقره غناه ، وروعته قواه .

أعيدوا للمساجد رسالتها في بث الثقافة المؤمنة .

جددوا للتوحيد رواءه بحسن الثبات والصبر والبسالة ، ارفضوا بشموخ حرية الجنس لأنها اباحية وانحلال سيروا في الأرض واطلبوا المعرفة وراء كل أفق ، وجددوا روح الاقدام والمغامرة ..

ارفضوا نفسية الكسل والتبطل واللغو وعبادة الوظائف وكل مسارب الأنانية اللئيمة المتراخية ..

وأعلنوا رسالة هذا الدين للناس بيقين وشمم ، وقدموا مبادئه بكل لغة ، وارفضوا أحوال التردد وقلق الظنون وسموم التقليم ، وكونوا قدوة للناس ..

لأن الدنيا لن تصغي لكم حتى تطابق أعمالكم أقوالكم ، ولأنكم لن تلقوا فيها حبا حتى تحبوا أنفسكم ، وتحققوا الكراهية في مجتمعاتكم .

— ٤ —

قولوا للناس يا شباب المسلمين .

قد تكون دونكم صناعة وزراعة وتجارة ، وأقل منكم عدد مؤسسات ومعاهد ومصانع .

قد تكون دونكم تمدينا وتحديث أدوات وتنسيق شوارع وبيوت وحدائق ..

لكنكم تعلمون أن هذه أحوال سرعان ما تتبدل حين ينهض عقل الأمة من كبوات الخمود والسبات والتطفل والاتباع والتقليد .

ولقد صحونا فلا نوم عن الكدح بعد اليوم ..

ونهضنا فلا مجال لجثوتنا عند نعال الواغلين بعد اليوم ، وعقلنا أمر هذا الدين فسخرنا من شبهات الدعاة المضلين ، وبطل عندنا سحر المستعمرين شرقيين وغربيين ، قدماء ومستجدين .. منافقين وملحدين ..

ولسوف ترون أو يرى أبناؤكم أن الاسلام الذي لم يكن ليوقف تحرك دواليبه الظاهرة الا قعود أهله عن ادارتها ، وانشغالهم بالشحناء عن حركتها .

أن هذا الاسلام سوف ينهض من كبوته ، ويستأنف رفع ألويته في كل بلد دخله ذات يوم أو تنتهي اليه بعد اليوم رسالته ..

ولسوف تروّع احلام الظالمين في تركستان وكشمير تماما كما ينقشع سحاب الشر عن سماء الفلبيين وفلسطين « والله اكبر » .

نداء بشأن الأقليات

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بالازهر برئاسة فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود وبحث موضوع اضطهاد الاقليات الاسلامية وقرر اصدار النداء التالي الى حكومات العالم كله .

وفيما يلي نص النداء :

تطورت علاقات الشعوب والامم بعضها ببعض عما كانت عليه منذ مئات السنين بل منذ عشرات السنين .

فبعد أن كان كل شعب او امة يعيش في معزل عن غيره ، مغلقا على ثقافته وأفكاره وعقائده ، وعلى نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة به ، بدأت الابواب تنفتح ليتصل كل شعب بالآخر وليتعرف كل على ما عند الآخرين من نظم وثقافات ومعارف .

واقتضى ذلك ان يقوم نوع من التعاون بين الشعوب ، وأساس للتعارف بين الامم ، هو تبادل المنافع والاحترام ، وتأكيد حق كل شعب وواجباته .

ساعد على ذلك التطور العلمي الذي أحرزته البشرية ، مما كان سببا في تقريب المسافات بين الشعوب ، ووسيلة للتعارف بينها ، واداة للاتصال السريع الواضح في كل شأن من شئونها ، كالبرق والتليفزيون والطيران وغير ذلك من اجهزة الاتصال ، مما جعل من شعوب العالم وأممه كلها أسرة واحدة وربط بينها برباط انساني عام وأقام بينها وحدة عضوية بحيث يحس كل باحساس الآخرين ، ويشعر بشعورهم .

هذا الوضع الجديد هو ما حض عليه الاسلام وحبب اليه ، بل وجعله من الأهداف الرئيسية من خلق الانسان ، كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى (**يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم**) .

ويدل عليه ـ كذلك ـ قول رسولنا الاكرم محمد بن عبد الله صلى

الله عليه وسلم : (المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس) ايذانا واشارة الى أن التعارف بين الشعوب والأمم يجب أن يقوم على أساس من الاخوة الصادقة ، والحب الأكيد ، والاحترام المتبادل ورعاية الحقوق المفروضة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين جنس وجنس أو لون ولون ودون أعتبار لصفات جنسية او لغوية أو حدود جغرافية .

ذلك ما اكده أيضا الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبته الاخيرة — خطبة الوداع : (يأيها الناس ، ان اباكم واحد ، وان ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والعمل الصالح كلكم لآدم وآدم من تراب) .

وانطلاقا من هذا المبدأ بنى الاسلام قاعدته على التسامح واحترام الاقليات المخالفين فى الراى أو العقيدة ومنح الحرية لهم فى ممارسة عقائدهم والحفاظ على حقوقهم كمواطنين صالحين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وتجسم هذا المبدأ بشكل واضح فى واقع الحياة العملية لصلات المسلمين فى تاريخهم الطويل بالاقليات المخالفة التى كانت تعيش بين اكثرية مسلمة دون ان تأخذ شكل أقليات أو جاليات أجنبية ، انما كانت تعامل معاملة المواطن الصالح حدث هذا فى تاريخ الاسلام فى الاندلس وفى بلاد فارس ، وفى بلاد الشام وفى مصر ، وفى غيرها من شعوب العالم وأممه .

غير أن الأنباء من حين لآخر تطالعنا بأخبار مؤسفة عن أحداث مؤلمة تتعرض لها الاقليات الاسلامية فى بعض بقاع العالم الى الوان من الاضطهاد وأنواع من الابادة وصنوف من التعذيب والتقتيل مما يتنافى أولا مع المبادىء الاسلامية القويمة ، ومع المعاملة الكريمة التى عامل ويعامل بها المسلمون الأقليات فى أوطانهم ويتنافى ثانيا مع المبادىء الانسانية العادلة والقيم الاخلاقية الفاضلة ثم يتنافى ثالثا مع المواثيق الدولية وقوانين هيئة الأمم المتعلقة برعاية حقوق الانسان، من أمثلة ذلك ما حدث ويحدث للمسلمين فى الفلبيين وفى سيلان وما يحدث لمسلمى بلغاريا ورومانيا وما يحدث لمسلمى تشاد وقبرص وغير ذلك من بلاد العالم .

واذا كان مجمع البحوث الاسلامية يتابع هذه الاحداث المنافية لكل مبادىء العدل والحق والانسانية واذا كان يراقبها بعناية واهتمام فلادراكه العميق لمغبة عواقبها وسوء آثارها ولشعوره المرهف بان هذه الاضطهادات لو استمرت وارخى لها العنان ، لعادت بأسوأ النتائج ، وأوخم العواقب ، لا على طائفة دون أخرى ، ولا على شعب دون آخر وانما على الانسانية جمعاء وعندئذ يستشرى الداء ، فيعز الدواء وتستعصى المشاكل ، فتتعذر الحلول وتشيع فى العالم روح المعاملة بالمثل ، ومبدأ القصاص العادل ، فيئول الى فوضى لا يعلم مدى آثارها الا المولى عز وجل .

لقد احدثت هذه الاضطهادات للاقليات الاسلامية هزة عنيفة فى نفوس المسلمين فى العالم واثارت كوامن أسفهم فأعلنوا استنكاراتهم لها واحتجاجاتهم فى مؤتمرات عقدوها ، وندوات تداولوا الرأى فيها وفى نداءات وجهوها الى رؤساء الحكومات والهيئات والشعوب .

ولا تزال هذه الاحداث قائمة ولا تزال الاضطهادات مستمرة وبدات بوادر الشر ، ونذر الصراع الدامى المرير تطل برؤوسها من بين أنياب

الغيظ ومن تحت اقدام الشعوب بل ومن خلف كراسى الحكام والقادة .

وخير ما يواجه به هذا الموقف الخطير ، هو قيام قادة الراى من العلماء والمفكرين وقادة الحكم من الساسة ورؤساء الحكومات بجهود مشتركة بناءة يتم فيها التعاون الصادق بينهم على مقاومة هذه النزعات الضارة والاتجاهات المخربة للحضارات المدمرة للعلاقات بين الامم والشعوب .

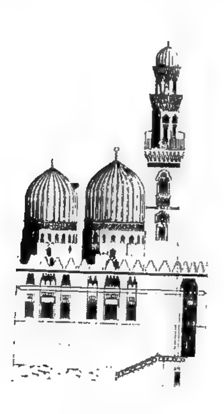
واذا نجحت هذه الجهود فى الحد من الطبقية البغيضة ، والطائفية الممزقة والعنصرية المقوتة عاش الناس فى أمن وسلام واجتمعوا على كلمة الاخوة والوئام وتحقق لهم جميعا حياة الأمن والازدهار فى ظل الاحترام المتبادل ومراعاة الحقوق المشروعة والواجبات المقررة من غير تفرقة بين انسان من ذهب وآخر من تراب .

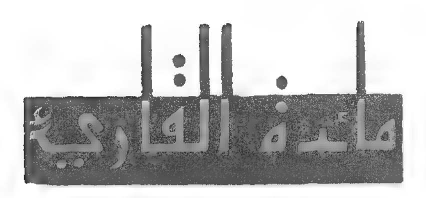
وان علماء مجمع البحوث الاسلامية اذ يوجهون مرة أخرى هذا النداء الى حكومات العالم كله والى شعوبه وهيئاته والى هيئة الامم المتحدة بتنظيماتها المختلفة واذ يهيبون بهم جميعا أن يعملوا بجد لا يشوبه ملل وبعزم لا يعتوره تردد وباخلاص لا شائبة فيه على مقاومة هذه الاضطهادات والعمل على منح الاقليات الاسلامية حقها الذى تكفله لها القوانين الدولية فى حرية العبادة وفى الحقوق الاقتصادية والسياسية.

ان علماء المجمع اذ يتوجهون بذلك كله انما يدفعهم لذلك حرصهم الشديد على الرابطة الانسانية العامة وعلى أن يسود العالم جو الاخاء والتقدم والازدهار فى ظل مبادىء العدل والحق والحرية والسلام . .

(وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) .

مجمع البحوث الاسلامية





شـــهادة تامين

على الجنـــة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلـــكم على تجارة تنجيكم من عـــذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكـــم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلـــكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم » .

صانعة البطولـــة

خرج الى القادسية أبناء الخنساء الأربعة ، فكـــان مما أوصتهم بـــه قولها :

يا بني انكم أســـلمتم طائعيـــن ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا اله الا هو ، انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكـــم تفلحون ، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها فيمموا وطيســـها تظفروا بالغنم والكرامـــة في دار الخلـــد والمقامة .

فكانوا عند ظنهـــا ، واستشهدوا واحدا اثر واحد ، ولما وافتها النعـــاة بخبرهم لم تزد على أن قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .



لا عمــل

يعادل الجهــاد

مر رجل من اصحاب رسول اللهصلى الله عليه وســلم بشعب فيــه عيينة من ماء عذبة، فاعجبته ، فقال :لو اعتزلت الناس فاقمت فى هــذا الشعب، فذكر ذلك لرسول الله صلىالله عليه وسلم فقال : لا تفعل فان مقام احدكم فى سبيل الله افضل منصلاته فى بيته سبعين عاما الا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنــة ،اغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة .

الحرب وثمارهــا

الحرب رحى ثقالهــا الصبــر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهــاد ، وثقافها الاناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شىء من هذه ثمرة .

فثمرة الصبر التاييد ، وثمرة الاناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ثم ان الحرب بين الناس سجال والراى فيها ابلغ من القتال .

الحرب النفسية

تعتمد الحرب النفسيــة على نشر الشائعات التى من شأنها أن تزعزع الثقة ، وعلى تنمية الخلافات المحلية من حزبية وطائفية وعنصرية ، وتغذية روح التذمر والاستياء وعدم الرضا وعلى النقد الذاتى الزائد عن الحــد بواسطة المبالغة فى اظهار العيــوب والاخطاء لاضعاف روح المقاومــة عند الامة . فاحذروها .

عدد الحجــاج

بلغ عدد الحجاج الذين وقفــوابعرفــات فى العــــام المــاضى (١٫٩٥١ر٢١٦ر١) حاجا .

وبمقارنة اعــداد الحجاج الــذينادوا فريضة الحج منذ عشر سنوات وعددهم فى العام الماضى نجــد انالزيادة بلغت خلال السنوات العشر (١٤٤ر٤٤٦) حاجا .



للدكتور محمود محمد قاسم

ولد ابن سينا فى قرية افشنة من اعمال بخارى فى سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وبدأ دراسته بحفظ القرآن وتحصيل علوم اللغة .. وكان ابوه اسماعيليا ، ويقول ابن سينا : إن اباه كان يجتمع مع نفر من اتباع هذه الطائفة ، ليتذاكروا فى مسائل النفس والعقل وما يتصل بها من عقائد ، ثم يذكر انه كان يدرك معنى ما يقولون ، لكنه لم يمل الى اعتناق مذهبهم . وقد اعتمد بعض الدارسين على هذا القول لكي يقرروا ان ابن سينا لم يكن إسماعيليا . وربما كان فى ذلك شيء من التسرع فى إصدار الاحكام . فإن الاتجاه الاسماعيلى يبدو واضحا كل الوضوح فى بعض رسائل ابن سينا وفى (الاشارات والتنبيهات) ولا سيما فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من هذا الكتاب . وليس من المستبعد ان يقول ابن سينا فى صباه رأيا ، ثم ينقضه فى كهولته . ومن الضرورى أن يدرس انتاج هذا الفيلسوف فى جملته ، قبل إصدار حكم نهائى بأنه كان إسماعيليا او غير اسماعيلى ، وان كانت وصيته فى آخر كتاب (الاشارات والتنبيهات) تشبه وصايا الاسماعيلية واخوان الصفا فى رسائلهم شبها غريبا .

وقد درس ابن سينا الحساب على طريقة علماء الرياضية من الهنود ، كما درس الفقه ، وتتلمذ على ابي عبد الله في دراسة المنطق ، غير انه اتجه في الوقت نفسه الى دراسة الطب دراسة نظرية وعملية . ثم استهوته الفلسفة ، فانصرف اليها قدر طاقته ، واطلع على ما كتبه الفارابي ، وتأثر به الى حد كبير . وفلسفة الفارابي محاولة للتوفيق بين فلسفة ارسطو وفلسفة افلاطون عن طريق الخلط بين هاتين الفلسفتين المتعارضتين وبين بعض عناصر من الفكر الشرقي القديم مع طلاء من الافكار الاسلامية لدى المتكلمين والصوفية ، مما انتهى به الى إقحام نظرية الفيض على الفكر الاسلامي . ولم يفعل ابن سينا سوى أن توسع في عرض الموضوعات الفلسفية الاساسية التي عالجها الفارابي من قبل ، فأخذ عنه نظرية الفيض ، وتعمق في نظريته عن النبوة ، وعدل نظريته في النفس الانسانية ، وسلك مسلكه في شرح فلسفة ارسطو ، ثم حرص ، الى جانب ذلك كله ، على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا ، حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة ، وهي فلسفة اشراقية في المقام الأول ، وهي تلك الفلسفة التي انتقلت ، فيما بعد ، الى اوروبا في القرن الثاني عشر ، وكان لها اثرها العميق في نظريات من يسمون بالمفكرين الاحرار ، ابتداء من القرن الثالث عشر في العالم الغربي .

وأتاحت ظروف خاصة لابن سينا ان يتعرف على سلطان بخاري نوح بن منصور ، وأن يطلع على مكتبته ، ويقول ابن سينا عن نفسه إنه فرغ من قراءة كل ما حوته هذه المكتبة العظيمة ، وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة من عمره .

ثم انتقل ابن سينا الى همذان واستوزره شمس الدولة ، فأقام عنده عدة سنوات استطاع ان يؤلف فيها كتاب الادوية العقلية واجزاء كبيرة من كتاب الشفاء ، وأن يشرح منطق ارسطو . وكانت حياته في أثناء هذه الفترة حياة خصبة وحافلة . فقد جمع فيها صاحبها بين العمل السياسي والتأليف والتدريس ، ولم يكن هذا يمنعه من تخصيص أمسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة . .

ثم اتجه الى أصفهان حيث لحق بعلاء الدولة واشتغل باتمام كتاب الشفاء ، وألف مختصرا له وهو كتاب النجاة . وكان ابن سينا مسرفا على نفسه فلم يُعْنَ بعلاج المرض الذي اصابه ، ولم يتحفظ في شرابه وطعامه ، ولم يقتصد في متعته ، فاشتد به المرض ، ومات بهمذان في سن السابعة والخمسين من عمره في سنة ٤٢٨ هـ .

ويعدّ ابن سينا من كبار ممثلي الفلسفة الأرسطوطاليسية عند المسلمين ، وينظر اليه الأوروبيون هذه النظرة منذ العصور الوسطى حتى الآن ، غير أن له فلسفته الخاصة ، التي تتركز حول مسائل ثلاث وهي مسألة الفيض والنفس الانسانية ونظرية المعرفة الاشراقية وما تتضمنه من نظرات خاصة الى النبوة والمعجزات والتصوف .

أما فيما يتعلق بنظرية الفيض فابن سينا لم يكن هو الذي ابتكرها ، وانما سبقه اليها أبو نصر الفارابي . ومع ذلك فان الرئيس ابن سينا هو الذي وضحها ودعمها بحيث ينظر اليه أحيانا على أنه هو الذي ابتدعها . وهذه النظرية محاولة لتفسير صدور العالم ، وتعتمد على أساس من التوفيق بين عناصر ارسطوطاليسية وأفلوطينية وإسلامية ، وبها مسحة من التصوف . فعن ارسطو أخذ كل من الفارابي وابن سينا ان الله عقل محض يدرك نفسه ، وعن أفلوطين فكرة مراتب الوجود ، وعن المتكلمين التفرقة بين الواجب والممكن ، وعن

الصوفية فكرة الاتصال بالعقل الفعال ثم بالذات الالهية . وتتلخص هذه النظرية في أن الله لما كان عقلا محضا . اى ذاتا عاقلة ، فإنه يفكر في نفسه . وعندئذ يفيض عنه عقل أول يسميه ابن سينا المبدع الأول ، أو المعلول الأول ، وفي هذا المبدع الأول يوجد نوع من الكثرة ، اذ فيه ماهية ووجود ، والوجود ليس ذاتيا فيه ، وانما يستمده من الله أو من الوجود الأول . ثم ان هذا المعلول الأول يفكر باعتبارات ثلاثة ، اى في الله ، ثم في نفسه من حيث الماهية ، ومن حيث الوجود . فاذا فكر في الله وهو المصدر الذى أستمد منه الوجود صدر عنه عقل ثان ، وهو العقل الذى يشرف على فلك زحل ، واذا فكر في ماهيته الممكنة فاض عنه جسم الفلك الاقصى ، واذا فكر في وجوده المستمد من الله فاضت عنه نفس الفلك الاقصى . وفي العقل الثانى ، الذى صدر عنه ، توجد هذه الاعتبارات الثلاثة ، مما يؤدى الى صدور العقل الذى يشرف على فلك المشترى والنفس الخاصة بفلك زحل وفلك زحل . ثم يستمر الصدور وفقا لنظرية بطليموس حتى تصدر عقول عشرة آخرها العقل الفعال الذى يشرف على ما تحت فلك القمر ، ومنه تفيض النفوس الانسانية والعناصر الاربعة وصور الأجسام الارضية . وعند العقل الفعال يتوقف صدور العقول السماوية .

وقد أخذ السهروردى المقتول على ابن سينا انه قصر الفيض على هذا العدد من عقول الافلاك ونفوسها ، أما الغزالى فقد رأى أن ابن سينا استخدم نظرية الفيض لتقرير قدم العالم ، وفند هذه النظرية على ذلك الأساس . أما ابن رشد فيقضى بأن نظرية الفيض عند الفارابى ثم عند ابن سينا دخيلة على الفلسفة الحقة ، وهو يتهم كلا منهما بالكذب ، فيقول : « أما ما حكاه (ابن سينا) من الفلاسفة في ترتيب فيضان المبادىء وفي عدد ما يفيضَ من مبدأ مبدأ من تلك المبادىء فشىء لا يقوم برهان على تحصيل ذلك وتحديده . ولذلك لا يلْفَى التحديد الذى ذكره في كتب القدماء » . ثم يصف الفارابى وابن سينا بأنهما « أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناس ، ونسبوا هذا القول الى الفلاسفة .. وهذه كلها خرافات واقاويل اضعف من اقاويل المتكلمين ، وهى كلها امور دخيلة على الفلسفة ليست جارية على اصولهم .. ولذلك يحق ما يقول ابو حامد .. من ان علومهم الالهية ظنية » .

—●—

أما عن موضوع النفس الانسانية فيلاحظ ان ابن سينا استرشد بآراء الفارابى في النفس ، مع ادخال شىء كثير من التعديل والتفصيل عليها ، وهو يفوقه من جهة أنه عرض لهذه الدراسة من الناحيتين الفلسفية والعلاجية . ويعترف مؤرخو فلسفة العصور الوسطى في الغرب بأن ابن سينا كان عمدة في هذا النوع من الدراسات النفسية ، وبخاصة لأنه عالج موضوع النفس كفيلسوف وكطبيب ، وان كان طابع الفلسفة اكثر ظهورا لديه . وقد عنى ابن سينا بموضوع النفس الانسانية ، فلا يكاد يخلو كتاب له من الحديث عن النفس . وتشغل البرهنة على وجود النفس وروحانيتها وخلودها قدرا كبيرا من اهتمام هذا الفيلسوف . ذلك أنه اراد ان يرد على بعض مفكرى المسلمين ممن مالوا الى انكار استقلال النفس عن الجسم ، وأن يبين ، في الوقت نفسه ، رأيه في طبيعة هذه النفس . وبراهينه على وجود النفس واستقلالها عن البدن عديدة ومشهورة ، وهى : البرهان الطبيعى الذى يستند الى ان النفس هى السبب في حياة الجسم وحركته ، وبرهان الإدراك والأفعال الوجدانية ويرمى الى تأكيد سمو النفس الانسانية عن نفوس بقية الأنواع الحيوانية ، وبرهان وحدة النفس الذى ينقد فيه رأى افلاطون القائل بوجود ثلاث نفوس مستقلة

فى كل انسان ، وهى النفس الحيوانية أو الشهوانية ، والنفس الغضبية ، والنفس العاقلة .

وقد استعان ابن سينا على توضيح فكرته عن وحدة النفس بصورتين هما : صورة الثياب التى يشبّه فيها الجسم وأعضاءه بالثوب الذى ترتديه النفس ، لكنه ليس جزءا جوهريا منها ، وصورة الرجل الطائر الذى يستطيع الشك فى وجود العالم الخارجى وفى وجود جسمه لأعضائه الخارجية والداخلية ، دون أن يشك فى وجوده هو ككائن يفكر . ويذكرنا هذا البرهان فى صورتيه بفكرة الشك المنهجى عند ديكارت عندما قال : أنا أفكر إذن أنا موجود ..

وأخيرا يستعين ابن سينا ببرهان الاستمرار ليبين به وجود النفس واستقلالها عن الجسم فى آن واحد . ويتلخص هذا البرهان فى أن جسم الانسان فى تغير مستمر ، لأنه مركب من عناصر يحل بعضها مكان بعض ، فى حين أن النفس تبقى على حالها ، بمعنى أنها تستمر محتفظة بحقيقتها فتتذكر ما حدث لها طيلة عمرها . بحيث يعلم الانسان أن جسمه تتغير عناصره جملة فى مدة عشرين سنة ، مع بقاء نفسه على حالها فى هذه المدة كلها . ويصف ابن سينا هذا البرهان بأنه « برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام » وهو يقوده الى البرهنة على روحانية النفس وعلى خلودها .

وتكشف قصيدة ابن سينا فى النفس عن تأثره الكبير بآراء افلاطون . كذلك يلاحظ أن ابن سينا رفض نظرية اشتراك البشر فى نفس واحدة بعد الموت على نحو ما ذهب إليه الفارابى فى نظريته (النفس الكلية) وهى التى نسبها اللاتينيون خطأ الى ابن رشد ، لا الى صاحبها الحقيقى وهو الفارابى . وقد بناها هذا الاخير على مبدأ ارسطوطاليسى يقول بأن أفراد أى نوع كان ، يشتركون فى الصورة ، ولكن يختلفون بسبب المادة التى تنشأ منها أجسامهم . ولذا فمتى فنيت أجسام النوع الانسانى ، اتحدت نفوسهم ، أى صورهم ، على هيئة صورة أو نفس كلية واحدة . وهذا ما رفضه ابن سينا والغزالى وابن رشد ، ووصفه ابن طفيل بأنه رأى أيأس الخلق جميعا من رحمة الله . أما ابن سينا فيقول إن كل نفس تتحد شخصيتها بسبب اتصالها بجسم معين ، وبسبب اكتسابها للفضائل او الرذائل ، فى أثناء حياتها العارضة . فالخلود إذن لكل نفس فردية على حدة .

ومع ذلك فقد اقتفى ابن سينا آثار الفارابى فى نظرية المعرفة وفى تقرير نوع من التصوف الفلسفى الذى ينتهى عنده بفكرة الاتحاد المرتبطة بنظرية وحدة الوجود ذات الطابع المادى لا الروحى

—— ● ——

أما الفلسفة الاشراقية لابن سينا ، وهى الخاصة بآرائه فى النبوة والوحى والمعجزات والتصوف فيمكن الاهتداء اليها فى الأنماط الثلاثة الاخيرة من كتاب (الاشارات والتنبيهات) ، وفى رسالته عن حى بن يقظان ، ورسائله فى (العشق) وفى (ماهية الصلاة) وفى معنى الزيارة ، وبعض رسائل أخرى . كذلك لا يعدم المرء أن يجد عناصر هذه الفلسفة مفرقة ومبعثرة فى كتاب الشفاء وفى كتاب النجاة .

ففى النمط الثامن من كتاب (الاشارات والتنبيهات) يعود ابن سينا الى نظرية الفيض . وهنا يبدو ارتباطها بنظرية مادية فى وحدة الوجود التى تقول

بأن الله يتجلى او يتحد بكل مخلوق من مخلوقاته : لأنه مثال الخير ، وهذا الخير يوجد بدرجات متفاوتة فى جميع الكائنات ، ابتداء من الملائكة والأجرام السماوية حتى الكائنات العنصرية . كذلك يبين الصلة بين هذا الفيض التدريجى الهابط وبين معراج العارفين الذين يصعدون فى اتجاه مخالف نحو الوحدة الاولى التى تحدّث عنها افلوطين من قبل . وهنا يجعل ابن سينا الطاعة نوعا من العشق للذات الإلهية ، ذلك العشق الذى يهوّن من شأن فكرتى الثواب والعقاب .

وفى النمط التاسع يعرض ابن سينا لكرامات العارفين التى تشبه معجزات الرسل . فإن العارف متى وصل الى نهاية معراجه الروحى ، وانخرط فى سلك الجبروت استطاع أن يأتى بأفعال خارقة للعادة ، وقد تفضى به حال الجـذب الصوفى والاستغراق فى مشاهدة الذات الإلهية الى ان يذهل عن كل شىء . فهو اذن حكم من لا يكلّف « وكيف ؟ والتكليف لمن يعقل التكليف ؟ » وهو يصف من لا يسلّم له بهذا الراى بالغفلة وضيق العقل ، وهنا يقترب اسلوب ابن سينا من أسلوب الباطنية ، وإن البس هذا التهديد ثوبا صـوفيا براقا ، فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه إلا واحد بعد واحد . ولذلك فان ما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للمغفل وعبرة للمحصل . من سمعه فاشمأز منه فليتهم نفسه لعلها لا تناسبه . فكل ميسّر لما خلـِقَ له » وترتبط هذه الفكرة عند ابن سينا باتجاه واضح الى تأويل الفرائض الدينية من صلاة وزكاة وحج .

أما فى النمط العاشر من كتاب (الاشارات والتنبيهات) فيتجه ابن سينا الى التسوية بين المعجزات والكرامات والسحر ، ويفسر ذلك كله تفسـيرا طبيعيا فيقول : « إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا يخرج عن وسع مثله فقد تجد الى سببه سبيلا فى اعتبارك مذاهب الطبيعة » . كذلك يفسر الاطلاع على الغيب تفسيرا ماديا مسترشدا ببعض الحالات النفسية المرضية عند البله والصبيان . . وهو يرى ان العلم بالغيب يشرق فى النفس دفعة واحدة وعندئذ يشاهد العارف اشخاصا او يسمع هتافا ، كما رأى الرسول جبريل وكما سمع موسى كلام ربه . ولا يعدم ان يستشهد ابن سينا هنا لرأيه ببعض تجارب الكهان من الوثنيين فيقول بعد الحديث عن بعض هذه التجارب المادية « فتارة يكون لحان الغيب جزءا من ظن قوى ، وتارة يكون شبيها بخطاب من جنىّ أو هتاف من غائب ، وتارة يكون مع ترائى شىء للبصر » .

والتفسير الطبيعى للكرامات والمعجزات واضح كل الوضـوح فى هذا النمط العاشر ، الى درجة أن نصير الدين الطوسى يعلق على كلام ابن سينا عن الكرامات والمعجزات فيقول : « وانما قال تكاد تأتى بقلب العـادة ، لأن تلك الافعال ليست عند من يقف على عللها الموجهة اياها خارقة للعادة ، وانما هى خارقة بالقياس الى من لا يعرف تلك العلل » هذا الى أن ابن سينا يجمع بين السحر والمعجزات والكرامات فيرجعها الى تأثير القوى النفسـية للأجراء السماوية فى نفوس السحرة والرسل والعارفين .

وتكشف الوصية التى يختتم بها كتاب (الاشارات والتنبيهات) من اتجاه باطنى واضح شبيه بمنهج اخوان الصـفا وامثالهم من مفكرى الفلسـفة الاسماعيلية . . فابن سينا يوصى اتباعه الا يذيعوا اسرار الحكمة المشرقية إلا لمن يثقون بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يسرع اليه الوسواس . كذلك يطلب الى تلاميذه وخلصائه ، الذين كانوا يقراون كتابه فى حلقة مغلقة ان

يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم ، وان يستخدموا فراستهم في الانتقال بهؤلاء من درجة الى اخرى ، حتى ينتهوا منهم الى غايتهم ، ومعنى ذلك كله انه يطلب الى الدعاة من انصار مذهبه أن يمهدوا تمهيدا جيدا حتى يستطيعوا نقل العوام الى مرتبة اعلى مع اخذ العهد على المريدين منهم بأن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد ، مهمة جذبهم الى هذا المذهب السري أو الباطنى .

وفيما يلى وصف لأهم كتب الرئيس ابن سينا :

١ ــ كتاب الشفاء : وهو أشبه شيء بموسوعة فلسفية جمع فيها ابن سينا أصول العلوم الفلسفية المنسوبة الى القدماء ، ووصفها بقوله أنه لا يوجد فى كتب القدماء شيء يعتد به إلا وقد ضمنه فى هذا الكتاب . ويحتوى كتاب الشفاء على أربعة اقسام رئيسية وهى المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات .

وقد ترجمت أجزاء منه الى اللاتينية والى بعض اللغات الاوربية الحديثة . . وقد اشرفت وزارة الثقافة المصرية على تحقيق ونشر أجزاء كثيرة من الشفاء منها : المنطق ، والطبيعيات والإلهيات .. الخ .

٢ ــ كتاب (النجاة) وهو مختصر لكتاب الشفاء ، وفيه يدرس ابن سينا المنطق والطبيعيات والالهيات . وهناك شروح كثيرة لكتاب النجاة .

٣ ــ كتاب الاشارات والتنبيهات : وهو آخر كتب ابن سينا ، وقد قال عنه احد تلاميذ ابن سينا ، وهو الجوزجانى ، إنه أجود كتب ابن سينا وانه خصصه لتلاميذه المقربين لا لغيرهم . فهو إذن من الكتب التى كانوا يتدارسونها فيما بينهم ويحتفظون بأسرارها لأنفسهم .

وقد ترجم فورجيه هذا الكتاب الى اللغة الفرنسية فى أواخر القرن الماضى .

٤ ــ دانش نامة علائى وهو بالفارسية .

٥ ــ كتاب (عيون الحكمة) وفيه دراسات فى المنطق والطبيعيات والإلهيات وقد نشره الدكتور عبد الرحمن بدوى سنة ١٩٥٢ .

٦ ــ كتاب (القانون) فى الطب .

٧ ــ ومن رسائله : رسالة فى الحدود ، ورسالة فى اقسام العلوم العقلية ، ورسالة فى اجوبة مسائل سأل عنها أبو ريحان البيرونى .

ومن المراجع التى تشير الى موضوعات فلسفية ــ الكتاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا ببغداد سنة ١٩٥٢ ــ نشرته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية(١) .

---

(١) فيما يتعلق بآراء ابن سينا الفلسفية يمكن الرجوع الى :

ا) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق الطبعة الثانية للدكتور ابراهيم مدكور .

ب) فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

جـ) نظرية المعرفة عند ابن رشد وتاويلها لدى توماس الاكوينى الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩ للدكتور محمود قاسم .

د) دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٣ للدكتور محمود قاسم .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن سينا يمكن الرجوع الى :

ا) مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتى دائرة المعارف للبستانى ١٩٦٠ .

ب) الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا سنة ١٩٧١ للدكتور محمد عاطف العراقى .



للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لتلاوة القرآن الكريم اسلوب فريد ، ونموذج رائع جمع بين استحسان الشرع ، وملاءمة الطبع ، بحيث يحقق الهدف المنشود من تلاوته ، وترديد آياته مرة بعد أخرى حسبما دعا له القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **اتل ما اوحى اليك من كتاب ربك** » وقوله جل من قائل : « **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** » .

وهذا الاسلوب الخاص الذى انفرد به القرآن الكريم تلاوة وأداء .. يعتمد أساسا على تصحيح الحروف ، واجادة الوقوف ، وتدبر المعنى ، وتفهم المغزى ، مع لطف الأداء الصوتى ، وجمال النطق به ، والترديد له .

وقد دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم الى تمييز القرآن الكريم عن غيره من الوان الكلام فى الأداء والتعبير ، ووضعه فى اطار خاص يتفق مع جلال رسالته ، وقدسية أهدافه .. فقد روى زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » واذا ذهبنا نتتبع هذه الصورة التى أنزل بها القرآن لنتعرف هيئتها من واقعها ، ونتبين ملامحها من وصفها .. وجدنا فى كتاب الله تعالى ما ينقع غلتنا ويفى بتطلعاتنا .. يقول الله تعالى : « **ورتل القرآن ترتيلا** » ، وفى آية أخرى : « **ورتلناه ترتيلا** » .

فالترتيل اذن هو الاسلوب الحكيم الذى انفردت به تلاوة كتاب الله ، وتميزت به عما عداه فى النطق والأداء ، وهذا الترتيل الذى ندب اليه القرآن



فى أكثر من آية ، وعبر عنه بصيغة الأمر الذى يوحى بالوجوب او الأهمية ، أو الاولوية .. هو الطريقة المثلى التى ينبغى ان يلتزم بها كل قارىء ، وان تتحدد بها كل تلاوة ، فكتاب الله الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يليق أن يعامل معاملة الشعر فى القائه الموزون ، واثارته العاطفية ، ولا ينبغى أن ننزله منزلة الخطبة فى طنطنتها الفخمة ، ورنانتها الضخمة ، ولا يناسب أن نسرده سرد الحكايات والطرائف فى عبارتها الاستهوائية البراقة ، ولا أن نلقيه فى قوالب الصياغة العلمية الجافة .. بل ان سمو مكانته ، وخطورة آثاره تضفى على قراءته لونا خاصا يتناسب مع هذا السمو والخطر .. وهذا اللون هو الترتيل .. والترتيل فى لغة العرب : تتابع الكلام ، وأخذ بعضه بعناق بعض على مكث وتلبث مع حسن الصوت ، ورقة الأداء .

وقد فسره ابن عباس رضى الله عنهما : بانه التبيين والاظهار ، كما شرحه مجاهد بانه التأنى والتمهل ، وقال فيه الضحاك : « انه اخراج الكلام حرفا حرفا » وقد حكت بعض أمهات المؤمنين صورا من تلاوته صلى الله عليه وسلم ــ ولا شك انهن فى هذا المجال أصدق الناس به ، واعرفهم بطريقته ــ سئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءته صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان يقرأ السورة حتى تكون أطول من التى هى أطول منها » ، وسئلت كذلك السيدة أم سلمة رضى الله عنها نفس السؤال فقالت : « كان يفسرها حرفا حرفا » .

وقد دلت الآثار المروية على أن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم

بحسن الاداء وجمال القراءة لم تشغله عن الهدف الاساسى من القراءة وهو الانتفاع والذكرى .. فكان عليه الصلاة والسلام يجمع فكره وقلبه فى التلاوة للوصول من خلالها الى ابلغ المفاهيم الدينية ، والانتفاع باقصى ما يمــــكن الانتفاع به من مذخور الحكم ، ومكنوز الاحكام ، حكى عنه ذلك أصـحابه فى غير موضع . ومن هؤلاء أبو الدرداء رضى الله عنه الذى روى : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام فى ليلة يردد آية واحدة حتى الصباح وهى : « أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » .. وهذا انس بن مالك رضى الله عنه الذى خدم الرسول عليه الصلاة والسلام تسع سنين يسأل عن تلاوته صلى الله عليه وسلم فيقول : « كانت مدا هكذا .. ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد اللــــه ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم . ومن هنا نلاحظ أن عمـــاد الترتيل المطلوب فى قراءة كتاب الله عز وجل انما هو تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف ــ كما حكى هذا عن على كرم الله وجهـــه ــ ومن مكملات هذا الترتيل : تحليـــة القراءة ، وتزيين التلاوة ، بالصوت الحسن ، والأداء الأغن الجميل قال ابن الجزرى فى كتابه النشر على القراءات العشر : « وقد ادركنا من شـــيوخنا من قرأ القرآن مجودا مصححا كما أنزل تلتذ الأسماع بتلاوته ، وتخشـــــع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد أن يسلب العقول ، ويأخذ بالألباب ، وهذا سر من أسرار الله يودعه من يشاء من خلقه .. » ، وذكر ايضـــــا أن الاستاذ عبد الله البغدادى المعروف بسبط الخياط مؤلف المبهج .. كان قد اعطى حظا عظيما من حسن الترتيل ، وأنه اسلم جماعة من اليهود والنصارى من ســـــماعهم لتلاوته ، ومثله فى ذلك الشيخ ابن بصخان شيخ الشام ، والشيخ ابراهيم الحكرى شيخ الديار المصرية .. على أن الاقتصــــار على هذه المكملات ، وحصر الاهتمام فى استهواء القلوب والاســـماع بجمال النبرات ، وتناسق الالحان ؛ مع صرف العنـــــاية عن الهدف الأول من الترتيل : وهو الادراك الواعى ، والفهم الناضج لما يشتمله القرآن من حكم وأحكام ، ومعان وآداب ، وعبر ومواعظ .. يذهب بالفائدة المرجوة من الترتيل ، ويضحى بالكثير من أجل القليل ، ويفسد المعنى حفاظا على صورة المبنى ، وهذا خروج عن الجادة المرسومة لتحديد معنى الترتيل الذى اختص به القرآن ، وتميز به فى تلاوته مما عداه .. قال محمد بن كعب القرظى : « لأن اقرأ فى ليلتى حتى أصبح (إذا زلزلت الأرض) ، و (القارعة) لا أزيد عليهما ، وأتردد فيهما ، وأتفكر ، أحب الى من أن أهذ القرآن هذا » أى أسرع فيه اسراعا ليس فيه شىء مما ذكر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعجبه الصـــــوت الموهوب فى ترتيله لآيات الذكر الحكيم حيث تنسجم روعة الأداء ، مع قدسية المضمون .. فيتعانق الجمال مع الكمال ، وتتوافق الصـــــورة والروح ، فى نفس مطبوعة على السمو المطلق ، والتكامل الفطرى . ولهذا .. كان عليه الصلاة والسلام يحب الإنصات لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه المســـمى بابن

أم عبد ، وكان رضي الله عنه يتميز بصوت نفاذ ، وأداء للقرآن أخاذ ، وكان النبي يقول لأصحابه : « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » يعني : ابن مسعود ، وقد ثبت في الصحيحين : أن قراءة ابن مسعود أبكت الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه في بعض منها .. كما نقل عن عثمان النهدي قوله : « صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ « قل هو الله أحد » ، ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله » .

وكان الرأى السائد بين سلفنا الصالح ان التلاوة مع العمق والقلة خير منها مع السطحية والكثرة ، لأن المقصود الاهم منها هو تقليب الفكر ، واستدامة النظر في هاتيك الدرر الغوالي التي احتواها القرآن ، وما يشع منها من بريق الهداية ، واضواء الحكمة .. وهذا ما لا يفطن له الا بحضور القلب ، وتفتح الفؤاد ، حال القراءة أو السماع ، وقد سئل مجاهد عن رجلين قرأ احدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران في الصلاة ، وركوعهما واحد ، وسجودهما واحد فقال : الذي قرأ البقرة وحدها افضل ، وفي صحيح البخاري أن ابن مسعود قال لرجل قرأ سور المفصل كلها في ليلة : « أهذا كهذ الشعر ؟ » وهو بهذا ينكر عليه تعجله المخل بتفكره وتدبره ، ومما روى عنه رضي الله عنه : « جودوا القرآن ، وزينوه بأحسن الأصوات ، واعربوه فانه عربي ، والله يحب ان يعرب به » ، وقوله : « لا تنثروا القرآن نثر الدقل ، ولا تهذوه هذ الشعر » والدقل ــ كما في المصباح المنير ــ هو اردأ التمر ، وممن طرب له الرسول صلى الله عليه وسلم في تلاوته ، واستمالته قراءته ، أبا موسى الأشعرى رضي الله عنه وكان من ذوى الحناجر الذهبية الموهوبة .. سمعه النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ من وراء جدر بيته فتلبث مليا اعجابا بهذا الصوت المشرق ، والأداء الرائع ، فلما عرف ذلك ابو موسى قال للرسول : « لو علمت بوقوفك لحبرته لك تحبيرا » اي حسنته لك أكثر مما سمعت .

ومعنى ذلك أن اجادة الترتيل ، ليس لها حد تقف عنده ، وأنها قابلة للتطوير الى الحد الذى لا يفسد المبنى ، ولا يلهى عن المعنى .

وما دمنا قد تحدثنا عن جمال الصوت وحسن الأداء حين التلاوة فاننا ننبه الى انه ليس معنى هذا التفريط أو الافراط .. فكما لا يجوز الأخلال بصحة الحروف ، واستقامة الوقوف ، كذلك لا يجوز المبالغة في تشخيص الحروف ، والتكلف في اخراجها حتى تصل الى صورة مشوهة جافية ، وما أحسن قول أبي عمرو الداني في هذا الصدد : « ليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات .. بل هو القراءة السهلة العذبة .. الحلوة اللطيفة .. التي لا مضغ فيها ، ولا لوك ، ولا تعسف ، ولا تكلف ، ولا تصنع ، ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب ، وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والأداء » .

فالاطار الذي يمكن أن يبرز فيه الترتيل حسبما تراءى من خلال وصفه وواقعه كما نقل الينا يعتمد أصلا على صحة الحروف ، ومعرفة الوقوف كما يستند كذلك الى تجميل القراءة بالصوت الحسن مع التفكر الهادف ، والإلمام الواعي ، والسبح في فلك الاهداف القرآنية للاهتداء باشماعاتها ، والاسترشاد بمواعظها ، وهذه هي التلاوة المثالية للقرآن الكريم .. وعلى جانبيها طريقتان أخريان يمثلان طرفي الغلو والتساهل ، ويسميان عند أهل الفن : إلتحقيق والهدر ، والأول هو العناية البالغة بمخارج الحروف من أشباع ، وتحقيق همز ، واتمام حركة ، واظهار تشديدات ، وتوفية غنات ، وتفكيك حروف بالسكت والترسل ، وليس من اللازم مع هذا التحقيق الترتيل ولا حسن الصوت وهذا اللون لا ينبغي أن يكون الا للمتعلمين لتعويد النطق ، وتوليد الانطباعات اللسانية .

وأما النوع الثاني وهو المسمى بالهدر فهو الاسراع مع ايثار الوصل ، ولكن مع المحافظة على الحروف واقامة الاعراب ، ويلجأ اليه البعض تحصيلا لحسنات اكثر ، واحرازا لفضيلة اتم ، ولكن الحق خلاف ذلك ، فان العبرة ليست بوفرة التلاوة ، بل بكثرة الافادة ، وقد احسن بعض ائمة الترتيل حين قال : « أن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا من ثواب كثرة القراءة ، فالأول كمن تصدق بجوهرة ثمينة ، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم » .

وبعد .. فقد انتهينا الآن الى أن أفضل الوان القراءة القرآنية هو الترتيل : وهو الذي جاء به التنزيل الحكيم ، وأن عماد الترتيل صحة الحروف وملاحظة مناسبات الوقوف ، مع حسن الأداء وتجميل الصوت ، وادارة الفكر وأعمال القلب والوجدان فيما يمر به من آيات بينات ، ومواعظ بالغات ، وأن التشدد في أداء الحروف سواء بالتحقيق أو بالتطريب يخرجها من حد القراءة المشروعة والتلاوة المتوارثة ، كما قال حمزة : « ما كان فوق البياض فهو برص ، وما كان فوق القراءة فليس بقراءة » وأن خير الامور أوسطها وأن الثواب الجزيل ، منوط بكيفية القراءة لا بكميتها ، وحسبنا أن نقرأ قوله تعالى : **« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »** ومعنى المكث : التلبث والتروى ، وقوله تعالى : **« واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون »** فان الاستماع بمعنى السكوت ، والانصات معناه التدبر وهما لا يتأتيان بغير الأناة والترتيل ، وقد جعلت الفقاهة بمعاني ما يتلى من شرائط السلامة .. كما اعتبر عدم الاستفادة من التلاوة من صفات المخالفين وذلك في قوله تعالى : **« واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا »** ويقول تعالى : **« الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به »** ومعنى تلاوة القرآن حق تلاوته كما في القرطبي : « ترتيل الفاظه وتفهم معانيه لأن ذلك ادعى الى الاتباع لمن وفق » .



للدكتور : سالم نجم

اهتم علماء الطب فى كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية بنتائج ابحاث اجريت فى كل من مقاطعة كويبك بكندا ومدينة أوماها بالولايات المتحدة عن العلاقة بين شرب البيرة والاصابة بمرض فى القلب خطير ، بلغت نسبة الوفيات فيه ٤٢٪ بين أوروبا حيث ظهرت آثاره فى انجلترا حينما نوقشت دقائق الأبحاث عن هذا الموضوع فى مجلة اللانست الطبية اللندنية بعددها الصادر فى ٢٨ اكتوبر/٦٧م ص ٩٢٨ .

ماذا يقول التقرير ؟

ولنعد الى التقرير الذى رفعته مجموعة من علماء كندا هم الأطباء : مورين ، فولى ، مارتيو ، روسيل ، والذى نشر فى المجلة الطبية الكندية منذ شهرين (المجلد (٩٧ ص ٨٨٣) . فلقد لاحظ هؤلاء العلماء ظهور مرض فى القلب ، سموه وباء لانتشاره بسرعة بين شاربى البيرة فقط . ويظهر بأعراض مرضية خاصة فهو اى — المرض — يأتى فجاة وبدون مقدمات ، حيث يشعر المريض بضيق فى التنفس وسرعة فى ضربات القلب مع سعال شديد ، وقد يصاحب هذه الأعراض الم فى أعلى البطن مع قىء ونزيف معدى من قرح فى المرىء والمعدة ثم ظهور علامات فشل القلب

(هبوط القلب) يقضى على المصاب فى عدة ايام . أما من يجتاز هذه المرحلة من المرضى فانه يصاب بتورم عام مصحوبا باستسقاء بطنى ، كما أن الكثير من هؤلاء المرضى اصيبوا باستسقاء حول العضلة القلبية وبانسداد فى الشرايين الحيوية . ولقد تبين من فحص الأشعة وجود تضخم فى حجم القلب وضعف فى القيام بوظائفه الأساسية وربما كان ذلك السبب المباشر للوفاة . أما تخطيط القلب فلقد اظهر تلفا ملحوظا فى العضلة القلبية بشقيها الأيمن والأيسر واكد ذلك وجود نسبة عالية من الخمائر المنطلقة فى الدورة الدموية دالة على تحطيم فى خلايا القلب كبير .

الصفة التشريحية :

حينما شرحت جثث المتوفين تبين أن القلب محتقن ومتضخم وبه قليل من التمدد مع احتوائه على جلطة دموية فى البطين والأذين الأيسرين . اما الكبد فلقد ظهرت به بقع نزفية مختلفة الأحجام مع احتقان عام وقليل من التضخم . ولقد اجمع العلماء على أن هذه الصورة المرضية ليست تلك التى تشاهد بين مدمنى الخمر حيث تصاب العضلة القلبية فيهم بالتضخم المتبوع بهبوط مزمن فى القلب ، ولكنها حالة جديدة تحدث فقط بين متعاطى البيرة ، وتستحق التسجيل وإجراء المزيد من الأبحاث حولها .

اسباب المرض :

لم تعرف اسباب محددة لهذا المرض ولكن هناك عدة فروض من المحتمل أن تكون من مسبباته : —

١ — اضافة مادة الكوبلت الى البيرة : غير أن هذه المادة تعطى بكميات اكبر الى بعض المرضى المصابين بفقر الدم ولا تحدث مثل هذا المرض فيهم .

٢ — ان شاربى البيرة دون غيرهم لديهم استعداد للتسمم بمادة الكوبلت كما هى الحال معهم ايضا مع مادة الزرنيخ والمعادن الثقيلة . ولقد ثبت ذلك منذ أوائل هذا القرن فى عام ١٩٠١م وسواء كانت هذه الأسباب حقيقة أم افتراضية ، فالذى يعنينا أن هذا المرض قاتل ، ولا يصيب الا شاربى البيرة .

لماذا الكتابة فى هذا الموضوع : وما العبرة ؟

لقد احسست بضرورة الكتابة عن خطر شرب البيرة لسببين :

أولهما : اننى لاحظت أن الكثير من المسلمين وخاصة الشباب يعتقدون أن البيرة غير محرمة لاحتوائها على نسبة قليلة من الكحول تتراوح بين ٥ — ٧٪ ، ونظرا لأضرارها البليغة التى تحدثها الخمر فى القلب ، والكبد ، والمعدة ، والجهاز العصبى ، وجب التنويه والتحذير .

ثانيا : انه خلال اجرائى بحثا عن اسباب المغص الكلوى وحصوات المجارى البولية فى الكويت أخبرنى عدد كبير من المرضى أنهم يشربون البيرة لما فيها من فائدة فى ادرار البول والتخلص من الحصوات . وهذا خطأ كبير لسببين :

١ — ان هؤلاء المرضى لم يتحسنوا من آلامهم ولم يتخلصوا من حصواتهم رغم استمرارهم فى شرب البيرة .

٢ — لقد ثبت علميا أن السبب الرئيسى للمغص الكلوى وحصوة الكلى — عدا العامل الوراثى —

هو اختلال فى نسبة الأملاح فى الدم والبول وخاصة بين عنصرى الصوديوم والكالسيوم . ولقد اثبتت تجاربنا أن الاكثار من تعاطى ملح الطعام وخاصة فى فصل الصيف يمنع حدوث المغص الكلوى ويساعد على تفتيت حصوة الكلى والتخلص منها .

هل تدفع الخمور شاربها الى الانتحار ؟؟

جاءت هذه العبارة عنوان بحث جيد قامت به مجموعة من الأطباء المتخصصين فى المستشفى الغربى فى مدينة جلاسجو ، وهو أحد المستشفيات التعليمية بها ، ولقد نشرت تفاصيله فى الصفحة الأولى من المجلة الطبية البريطانية اللانست بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٢ ، والأطباء الباحثون هم باتيل ، ومونيكاروى ، وولسون ، ومدينة جلاسجو هى أضخم مدن اسكتلندا ، وثالث أكبر مدينة فى بريطانيا : والبحث يتناول ظاهرة الانتحار وعلاقته بتعاطى الخمور خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٧١ . وكانت بداية الدراسة أن لاحظ الباحثون أن هناك زيادة مطردة فى عدد الأشخاص الذين ادخلوا الى المستشفى المذكور للعلاج من محاولات الانتحار ، ففى عام ١٩٥٤ كان عدد من انتحر أو حاول الانتحار لا يزيد عن الستين شخصا ، فى حين ارتفع هذا العدد الى ما يربو على الخمسمائة فى عام ١٩٧١ ، والخط البيانى يشير الى ارتفاع مستمر ، وليس هناك ما ينبىء بانخفاض معدل الانتحار أو حتى باستقراره .

وباء الانتحار :

ونظرا لهذه الزيادة المفزعة فى عدد المنتحرين ، فلقد سميت هذه الظاهرة بالوباء الانتحارى ، اذ اكدت الاحصائيات أن ثلاثة أشخاص من كل الف فى مدينة جلاسجو ادخلوا الى احدى مستشفيات المدينة بسبب الانتحار خلال عام ١٩٧٠ ، والواقع أن هذا الرقم لا يمثل العدد الحقيقى ، اذ أنه من المسلم به احصائيا أن كل مريض يدخل الى المستشفى للعلاج يقابله على الأقل مريضان يعالجان خارج المستشفى ، وبذلك تصبح النسبة قريبة من ١٪ ، أو بتعبير أصح هناك شخص يحاول الانتحار بين كل مائة مواطن يعيش فى هذه المدينة ، وتلك نسبة أقلقت بال رجال الطب وعلماء الاجتماع فى تلك المنطقة ، خاصة وان الانتحار أصبح ظاهرة اجتماعية مقبولة بين الناس هناك .

الأرقام تتحدث :

لقد اتضح أن الانتحار بالمواد السامة ومعظمها من العقاقير والأدوية تشكل ١٥٪ من مجموع المرضى بأقسام المستشفى غير الجراحية ، ولا يفوقها عددا إلا حالات أمراض القلب التى تصل نسبتها الى ١٩٪ ، والجدير بالذكر أن الانتحار يأتى فى المرتبة الأولى لدى أولئك الذين تقل أعمارهم عن الأربعين عاما.

ويتناول البحث علاقة الانتحار بتعاطى الخمور وينقسم الى قسمين رئيسيين : —

القسم الأول : دراسة خلفية عن فترة محددة فى الماضى تناولت ٢٧٠٦ حالة من حالات الانتحار (١٠١٥ رجلا ١٦٩١ امرأة) ارتكبت خلال ١٥ سنة (ما بين ١٩٥٤ حتى ١٩٧٠) ، حيث درست كل حالة على حدة ، ورصدت الأسباب المحتملة للانتحار من واقع ملفات المرضى انفسهم دون تخطيط سابق ، وتوصل الباحثون الى ان أهم أسباب الانتحار هى المشروبات

الكحولية ، البطالة ، صعوبات مالية ، مشاكل عائلية . ولقد ثبت أن ٩٠٪ من الرجال ممن حاولوا الانتحار شربوا الخمر قبل الاقدام على المحاولة ، وان الخمر عامل أساسى لدرجة الادمان فى ٤٥٪ من حالات الانتحار لدى الرجال ، ثم تأتى البطالة كسبب آخر بين ٢٣٪ من المنتحرين فى المرتبة الثانية . أما فى النساء فان الخمور كسبب مباشر لا تتعدى ١٠٪ ولكن ادمان الزوج وإهانته لزوجته أو ابنته وما يصاحب هذا السلوك من ضائقة مالية أو اجتماعية تدفع ٤٣٪ من النساء الى ارتكاب جريمة الانتحار .

القسم الثاني من البحث : عبارة عن دراسة أمامية مخطط لها لفترة عام واحد ، بدات من يناير ١٩٧١ حتى فبراير ١٩٧٢ وشملت ٥٨٧ حالة انتحار . ولوحظ انه فى حين تكررت محاولة الانتحار مرتين فى ٣١ شخصا ، تكررت ثلاث مرات أو اكثر فى ١٤ شخصا من المجموع الكلى للرجال والنساء ، ولقد تمت دراسة مستفيضة على ٥٢٠ حالة (٢٠٧ رجال ، ٣١٣ أمرأة) .

من هذه الدراسة وجد أن السبب المباشر للانتحار ذو جوانب معقدة ومتعددة ، الا انه قد ثبت أن مشكلة المشروبات الكحولية هى أكثر العوامل ثبوتا وابعدها أثرا على من يحاولون الانتحار ثم تاتى العوامل التالية كأسباب ثانوية نذكر منها : البطالة ، المشاكل الاقتصادية والجريمة وتفكك الأسرة والطلاق .

وهناك نسبة كبيرة بين شاربى الخمر من الجنسين يرتكبون أعمالا عنيفة وهم تحت تأثير الشراب ، بل إن منهم من يعتدى بالضرب على زوجته أو ابنته مما يدفعه أو يدفعهما الى الانتحار . كذلك تبين أن عددا غير قليل من مدمنى الخمور يعانون من أمراض نفسية معقدة .

وطبقا لتحليل نسبة الكحول فى الدم وقت ارتكاب جناية الانتحار وجد أن حوالى ٩٠٪ من الرجال قد تناولوا المسكرات بساعات قليلة قبل الانتحار .

فى حين أن النسبة تهبط الى ٤٠٪ عند النساء ، كما تتفاوت أعمار هؤلاء الضحايا بين اثنى عشر عاما الى ما فوق السبعين ، إلا أن الغالبية العظمى تتركز فى الشباب ممن تقع اعمارهم بين العشرين والأربعين سنة .

وفى مثال آخر حول موضوع إدمان الخمر ، ورد ذكره فى العدد رقم ٧٧٩٠ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٦ ، من المجلة ذاتها دلت الاحصائيات أن فى بريطانيا وحدها حوالى ٤٠٠٫٠٠٠ اربعمائة الف مدمن مسجلون للعلاج من هذا الداء ، ومن الواضح أن مثل هذا العدد — على اقل تقدير — غير مسجل ، وبالتالى يوجد فى بريطانيا شخص يدمن الخمر بين كل خمسين شخصا ، ومن المعروف أن بريطانيا ربما كانت من اقل الدول الغربية استهلاكا للمشروبات الكحولية ، كما جاء فى نفس المقال احصاء يبين أن الجرائم التى أرتكبت بسبب تعاطى الخمور فى عام ١٩٧٠ ، بلغت ٢٧٫٩٧٢ جريمة ، وفى خلال عام واحد (١٩٧١) ارتفع هذا العدد الى ٣٩٫٨٤٠ جريمة ، بزيادة تقارب ٤٠٪ وهى نسبة مفزعة .

إن هذه الاحصائيات صدرت عن جهات رسمية ، وكلها تشير بصورة واضحة الى مدى الخطر والانهيار اللذين يتعرض لهما المجتمع الغربى ، ولا تحتاج منا الى تعليق فالخمور بآثارها ومضارها تعبر عن نفسها بالأرقام فى جلاء ووضوح ، وليس لى جهد يذكر فى كتابة هذا المقال ، وما قصدت اليه هو التذكير فقط ، وأدع القارىء الكريم يستخلص العبرة من احصائيات العلماء والواعين من أبناء المجتمع الغربى انفسهم فلعلنا نسمع ونعى ..

مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ عبد الستار فيض

الاجتهاد
في الفقه الاسلامي

بحث عن الاجتهاد الفقهي في أدواره المختلفة حاول فيه مؤلفه الدكتور محمد الدسوقي دراسة الاجتهاد بغية الكشف عن جانب أصيل من جوانب الثقافة الانسانية الخالدة ، وقد مهد للبحث بدراسة موجزة عن تعريف الاجتهاد وشروطه ومجاله ومصادره كما أشار الى أهم أسباب الخلاف بين المجتهدين .

والبحث مقسم الى ثلاثة أبواب يتحدث في الأول عن الاجتهاد في عصر البعثة والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وفي الثاني عن عصر التقليد مبينا أسباب اغلاق باب الاجتهاد وآثاره في الدراسات الفقهية . وفي الثالث يتناول الجهاد منذ ظهور مجلة الأحكام الى الآن .

وفي ختام البحث يتحدث الدكتور المؤلف مثبتا أهم نتائج الاجتهاد ومؤكدا الدعوة الى الاجتهاد الجماعي والفردي .

حياة رسول الله

كتاب يروى قصة النبي صلى الله عليه وسلم اقتبسها مؤلفها الأستاذ محمود شلبي من مراجعها الأصيلة والكتاب يتكلم عن حياته عليه السلام من مولده الى وفاته ويسجل وقائع تلك الحياة تسجيلا صادقا أصيلا فلا خرافات ولا خيالات ولا التواءات ولا انحرافات . ثم هو بعد ذلك له منهجه في معاملة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا رد على المستشرقين ولا رد على أعداء الدين ولا رد على الملحدين ، وانما يقص على الناس قصة رسول الله في صدق وصفاء ويعتبر المؤلف هذا خير رد على هؤلاء وخير دليل على عظمة الرسول .

والكتاب يقارب المائتي صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية — مصر .



حاضر العالم الاسلامي

تأليف : لوثروب ستودارد
ترجمة : عجاج نويهض
تقديم : شكيب ارسلان
عرض وتحليل : يوسف نوفل

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب منذ ما يقرب من ثمانية واربعين عاما فى القاهرة ، ويجدر فى بداية الحديث أن نعرف بايجاز بمؤلف الكتاب ، لوثروب ستودارد الذى ولد عام ١٨٨٣ فى بروكلين بأمريكا ، وتوفى عام ١٩٥٠ ، كان أبوه خطيبا واعظا جوالا ، بدت لدى لوثروب دراسة البيئة منذ صغره ، وأولع بدراسة اللغات لاسيما الالمانية فى جامعة هارفارد عام ١٩٠١ ، ثم صار كاتبا اجتماعيا ومؤرخا لكثير من الثورات وحركات التطور فى العالم ، تخرج فى هارفارد عام ١٩٠٥ ، ثم التحق بجامعة بوسطن ونال درجة الدكتوراه فى الحقوق عام ١٩٠٨ ، وقد ألف بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٠ سبعة عشر كتابا ، وكان كتاب (حاضر العالم الاسلامى) خامس هذه الكتب حيث صدر عام ١٩٢١ وكان أوسعها انتشارا ، وكان المؤلف على نية زيادة الكتاب فى طبعة حديثة يصل فيها الى منتصف القرن .

قام برحلة طويلة عام ١٩٢٤ الى الشرق الاوسط وزار فلسطين والأردن ومصر وتركيا وغيرها ،

ومن كتبه (نهضة الشعوب الملونة) ١٩٢٠ ، و (الثورة على الحضارة) ١٩٢٢ ، و (الانسانية تحت سيطرة العلم) ١٩٢٦ ، و (الحظ : شريكك الصامت) ١٩٢٩ .

اهم قضايا الكتاب :

يتناول الكتاب العديد من القضايا مثل :

تطور الاسلام ، الفتح العربي ، البعثة المحمدية والأقوال المنصفة والمغرضة في محمد صلى الله عليه وسلم ، وكتاب (حياة محمد) لأميل درمنغهم ، وأسباب انتصار العرب على الفرس والروم ، وحضارة الاسلام في القرون الوسطى ، ورقي الاسلام ، والرد على أعداء الاسلام ، ونظريتنا : القومية العثمانية الاسلامية ، والقومية التركية ، وترجمة القرآن ، وكلها بقلم شكيب ارسلان .

ومن فصول الكتاب :

في اليقظة الاسلامية ، وفي الجامعة الاسلامية ، والمسلمون في الأندلس ، والاسلام في أفريقيا والحبشة ، ومدغشقر ، والفلبين ، والرق ، وعدم جمود الاسلام ، وسيطرة الغرب على الشرق ، والتطور السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي .

وبعض هذه البحوث مقالات لبعض الباحثين كشكيب ، وديريش وسترلمان ، وغيرهما .

وباستعراض هذه الموضوعات تتضح خطورة الكتاب وتنوعه واتساع مراميه ، فهو يكاد يلم بمعظم ما يشغل بال المسلمين وبال أعدائهم في الوقت نفسه ، وهو يتناول قضايا على جانب كبير من الأهمية بما تحمله من ادعاءات وهجوم مغرض ، وبما تحمله من اثارة جديرة أن تتضح معالمها وتتحدد ملامحها وخطوطها أمام الاجيال المسلمة في شتى بقاع الارض استهدافا لتوفر الوعي الاصيل للانسان المسلم في أخريات القرن العشرين ، وهو وعي يتحتم تحققه في وقت تتكالب فيه كثير من الامور أمام ناظري المسلم لا يملك البعض أمامها الا الاستسلام أو الحيرة أو التبلبل أو الشك ، وفي ظني أن مناقشة بعض هذه الامور جدير أن يضع امام أعين شبابنا الحقيقة الاكيدة ، وهو أمر يتحتم على مفكري الأمة ورجالها أن يسهموا في اجلائه أمام الشباب .

البعثة المحمدية في نظر الفلاسفة والعلماء :

يستعرض شكيب ارسلان في هذا الفصل آراء كثير من العلماء والفلاسفة والمؤرخين الاوربيين في النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم :

غروسه ، ومونته ، واتيان دينه الفرنسي المسلم ، ودوزي ، ونولدكه ، ودوغوبيه ، وشبرنغر ، وسنوك هركرونيه ، وغريم ، ومارجليوث ، وهوار وجولد سيهر ، وولز ، وفولتير وغيرهم .

وهي مجموعة من الآراء لها اهميتها في مجال التأريخ لمحمد عليه

الصلاة والسلام ، ومن بين هذه الآراء رأى لاتيان دينه الفرنسي الذى أسلم وحج بيت الله الحرام ، والف كتابا عن حجته ، كما كتب كتـــابا عن حياة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو يبين فساد طريقة بعض الاوربيين الذين حاولوا أن يجعلوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام خاضعين لتفسير العقلية الاوروبية ، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الأوروبى لا يمكن أن يأتى بنتائج صحيحة فى تاريخ الانبياء الشرقيين ، يقول دينه :

« ان هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبى بهذا الاسلوب الاوروبى البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصـــــون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغى لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة ، والروايات المشهورة من السيرة النبوية فهل تسنى لهم شىء من ذلك .. ؟ الجواب : لم يتمكنوا من اثبات أقل شىء جديد » .

ويشير (دينه) الى اخطاء آراء بعض هؤلاء المستشرقين مثل : دوزى الهولاندى الذى قال : ان محمدا لم يكن يشبه قومه فقد كان ذا تصور قوى ولم يكن عند العرب مثل هذا التصور وكان دينا بطبيعته ، ولم يكن العرب دينيين ، بينما قال (لامنس) ان محمدا كان شبيها بقومه ، وان هذه المشابهة هى التى كانت سر نجاحه بينهم ، وفى هذا المجال ترد شـــبهة خبيثة ذهب اليها بعض المستشرقين مثل (نولدكه) الذى ذهب الى أن ســـبب الوحى النازل على محمد والدعوة التى قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع ، بينما ذهب الاستاذ (غوبيه) الى أن هذا الافتراض ليس بصــــحيح لأن الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة ، والحال هى عند محمد صلى الله عليه وسلم على عكس ذلك ، فقد كان يتذكر كل ما يسمعه فى اثنـــاء هذه النوبات ويمضى (شبرنغر) فى الطريق نفسه فيرى أن الوحى ما هو الا نوبات هستيرية بينما يرد عليه (سنوك هركرونيه) بأنها ليست من هذا النوع .

يعلق شكيب ارسلان على هذه الآراء وغيرها فيقول :

« ان الكتابات فى أوربه عن النبى صلى الله عليه وسلم ودينه وشرعه والملة الاسلامية بحر لا ساحل له وفيها الغث والثمين ، والحالى والعاطل ، والحق والباطل ، ومن مؤلفيها المحب والقالى ، والمنصف والمتعســـف ، والناصح والكاشح ، كما هو الشأن فى كل أمر ، ولكن العصر الاخير فى أوروبة أنصف الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا بالقياس الى الاعصر التى سبقت كما يظهر من الشواهد التى اتينا بها من قبيل أنموذجات ولو كان المسلمون استيقظوا من سباتهم وتعلموا من الاوربيين روح التضحية كمـــا يقال ونشروا للاسلام دعاية منظمة وانفقوا عليها عن ســـــعة لأمكنهم ان يصـــححوا أباطيل كثيرة ويبددوا أوهاما كثيفة تتعلق بهم وبدينهم وبنبيهم ولاهتدى فى أوربه الى الاسلام خلق كثير أثروا تأثيرا محسوسا فى مجرى سياسته العامة ، ولكننا مع الأسف لا نزال بعيدين عن درجة هذا الانتباه ، ولا يزال أعداء الاسلام يناصبونه القتال فى كل سهل وجبل وفى كل بر وبحر ولا تبرح مكافحة الاسلام لهم هى فى نسبة الخردل الى الجنـــدل ، فمتى

ينشط الاسلام من عقاله ويستأنف همته الاولى .. ؟ هذا ما لا يجيب عليه غير المستقبل » .

ويشير شكيب الى انه يعمد الى آراء غير المسلمين فيعرضها ويشير الى ما فيها من اعلاء للاسلام واشادة به واعتراف بفضله وقيمته ليكون رأيهم ناتجا عن انصاف ونشدان للحق والتزام للتحرى .

ونقول بهذه المناسبة ان هذا الامر جدير أن ينال اهتمام المؤسسات واللجان والمجالس ذات التأثير الحيوى فى هذا المجال فى بلادنا ، لتكون كل مؤسسة منها جهازا اعلاميا حضاريا يقف فى معترك الربع الاخير من القرن العشرين مصححا بعض المفاهيم السائدة عن خطأ لدى كثير من الناس عن الاسلام .

(حياة محمد) لاميل درمنغهم :

كان الدكتور محمد حسين هيكل من أول من تناولوا كتاب (حياة محمد) لاميل درمنغهم بالتعليق والنقد وذلك فى الملاحق الادبية لجريدة (السياسة) ؛ وكان درمنغهم قد اقام ببلاد المغرب وخالط المسلمين ، وحين طبع كتابه هذا صدره بمقدمة يقول فيها :

« انه لا يوجد واحد فى الدنيا أمكنه أن ينكر وجود محمد ، ولكن وجد من ينكرون بعض ما جاء فى ترجمة محمد فى الكتب العربية ، ومن الناس من يتجاوز الحد فى النقد والاعتراض حتى يقع فى الظلم ، أما أنا فقد جعلت كتابى سيرة حقيقية مبنية على المنابع العربية الاصيلة بدون اهمال جميع ما وصلت اليه تدقيقات المتخصصين فى هذا الموضوع فى الازمنة الاخيرة ، وقد أردت أن أمثل لمحمد صورة مطابقة له بقدر الاستطاعة كما فهمته من الكتب التى قرأتها وأمعنت النظر فيها ومن مشافهة الاحياء من المؤمنين به ، فاذا كانت كل حياة بشرية تنطوى على تعليم وكانت كل حادثة تشتمل على مشهد يمثل حقيقة من الحقائق فكم يكون مؤثرا ومفيدا التلاقى مع رجل من الرجال الذين يقتدى بهم جانب عظيم من الانسانية » .

المبشر (زويمر) وعداوته للاسلام :

يعرض الكتاب بعض آراء مبشر اشتهر بعداوته للاسلام وافترائه عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو المبشر زويمر الذى كتب كتابا عنوانه « الاسلام ، ماضيه ، حاضره ، مستقبله » ، وفيه عرض لمساعى بعض المبشرين فى اقطار الاسلام ، واهمية هذا الكتاب تبدو فى اثارتها انتباه المسلمين لخطورة التبشير واهمية التصدى له ولجمعياته المنبثة فى اقطار الاسلام بأشكال متنوعة فى شكل رسالات دينية أو بعثات جغرافية واكثرها مستشفيات ومصاح وملاجىء للفقراء ، ولهذا المبشر طريقة فى التبشير لا تعتمد على المجادلة والمحاورة والاعتماد على البراهين العقلية بل تعتمد على العاطفة واستثمار أمراض الناس وعللهم وكروبهم .

ولم يعد هذا الامر جديدا على المسلمين الآن ، لكنه ما يزال يخطو فى شكل مؤسسات متعددة ، ويحتاج الامر الى زيادة الاكتراث به والتصدى له .

وقد علق شكيب ارسلان على آراء هذا المبشر فقال :

« ونحن نجاوب المستر زويمر وأمثاله ممن فيهم من هو مقتنع بعمله مبتغ وجه الله في جهده أنه ان كان المقصود دعوة الاسلام الى الانجيل فالمسلمون يؤمنون بالانجيل الشريف وبرسالة المسيح صلوات الله عليه وسلامه ، وان كانت الدعوة هي الانجيل في الظاهر والسيطرة الاوربية في الباطن فهذا حلم من احلام المبشرين ، اذ لا بد للاسلام أن يستعصي على هذه الدعوة ويقف في وجهها سدا منيعا ، وان كان مقصد هؤلاء المبشرين هو خلاص النفوس والاشفاق من هويها في النار الحاطمة والعياذ بالله فالاولى بهم أن يذهبوا الى الوثنيين الذين هم أكثر من المسلمين عددا في الدنيا وأحوج الى الارشاد بل أن يهدوا الملايين العديدة من أنفس المسيحيين الذين نبذوا الدين ظهريا ودانوا بالتعطيل والالحاد وأخذوا يحاربون الكنيسة فعلى الانسان أن يدبر بيته قبل أن يمد يده لتدبير بيت جاره . أما المسلمون فلا حاجة الى تبشيرهم لانهم يعبدون الاله الحق ولا يشركون به أحدا » .

الاسلام في الصين : ماضيه وحاضره :

وهي محاضرة للسيد : محمد مكين الصيني يشير فيها الى اختلاف الروايات حول بدء دخول الاسلام الصين هل هو في سنة ٦٣٧ م قبل وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم او في سنة ٥٩٩ م قبل هجرته عليه الصلاة والسلام ، وفي رأى حجة التاريخ الاسلامي الصيني البروفسور (جنيون) أن أول وافد من الدولة الاسلامية الى الدولة الصينية أوفد سنة ٦٥١ م في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد ذهبت الوفود الاسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس الى الصين في عهد الخلفاء الراشدين .

ويشير الى آثار الاسلام هناك من ضريح سعد بن أبي وقاص ، ومسجد مدينة كنتون وهو أول مسجد في الصين اسس وسط القرن السابع تقريبا ، وفيه منار شامخ عليه مسحة من جمال الفن العربي ، والمسجد الاعظم في عاصمة ولاية شانس ، ومسجد نانكين الذى بنى سنة ١٣٨٨ م .

أما أسباب انتشار الاسلام في الصين فيرجعها الى ما يلي :

١ ــ تجارة المسلمين في عهد أسرة تان (سنة ٦١٨ ــ ٩٠٥) وما بعدها .

٢ ــ الفتوح الاسلامية وخصوصا في التركستان الصينية .

٣ ــ تناسل المسلمين .

٤ ــ اختلاط الناس بالمسلمين وتأثرهم بهم .

ثم يشير الى الجمعيات الاسلامية الصينية والمدارس الاسلامية الصينية والمجلات الاسلامية الصينية ، والنهضة الجديدة آنذاك .

وانطلاقا من هذا الموضوع قد يكون لنا ان نبدى رأيا في هذا الكتاب الذى جمع بين فصوله الاساسية بقلم كاتبه وفصول وتعليقات لشكيب ارسلان ولمترجم الكتاب وغيرهما ، نقول إنه يغطى مرحلة زمنية معينة مضى عليها زمن طويل ، والمعروف ان المؤلف (لوثروب) كان على نية اصدار

ما يغطي مرحلة زمنية تالية لكن القدر لم يسعفه حتى توفي عام ١٩٥٠ كذلك توفي شكيب أرسلان من قبله في أواخر عام ١٩٤٦ ، وها نحن نجد الاسلام الآن في ظروف جديدة في شتى بقاع العالم ، ومن هنا بات لزاما على مفكري الأمة ورجالاتها وباحثيها أن يكملوا الشوط الذى بدأه هذا الكتاب ، ان الارقام المستنبطة من الاحصاء الذى بالكتاب لا يمكن أن تمثل الصورة الواقعية الآن بحال من الاحوال ، ويشير الى ذلك تأمل التواريخ المثبتة بالكتاب ، هذا الكتاب الذى ألف منذ اكثر من خمسين عاما .

ومن هنا يحتاج هذا الكتاب الى كتاب حديث مكمل له يلقي الضوء على حاضر العالم الاسلامي بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تغير بعض الايديولوجيات والمعتقدات لدى بعض الشعوب ، وبعد قيام بعض الثورات ، وبعد نهوض بعض المؤسسات الدينية الاسلامية في شتى البلاد الاسلامية ، ليكون هذا الكتاب الحديث بمثابة تصور واقعي صادق لحاضر الاسلام فعلا ويكون للمسلم في ضوئه حق تصور موقعه في العالم ، واهمية مثول الهداية الاسلامية كمنار يهدي العالم في حيرته واضطرابه الآن .

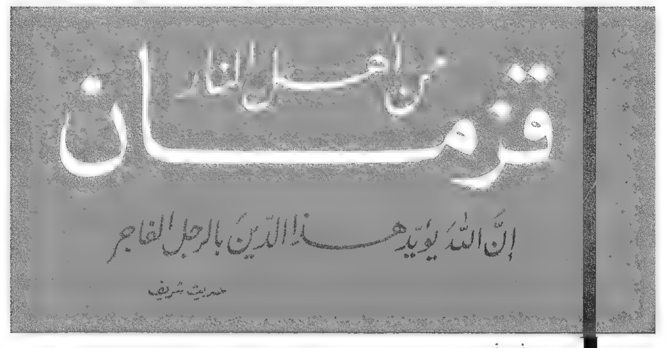
وأخيرا على الرغم من اشارة الفهارس الى نسبة بعض البحوث في الكتاب الى مؤلفيها مما أضيف الى الكتاب ، فانه كان ينبغي أن تفصل هذه البحوث وترد كملحق للكتاب حتى لا تختلط بأصل الكتاب .

[illegible]
طريقها نحو النصر ونحو السلام .

الخطاب الأميرى

[illegible]

الخطاب الأميرى



لقد أصيبت قريش في (بدر) بما أفقدها صوابها ، وأذهلها عن الحقيقة، ولم يكن يدور بخلد أقطابها أن هذه (القلة) المؤمنة ستظهر على تلك (الكثرة) الكافرة ، وما دام للثأر مكان في البقية التي أفلتت من سيوف الملائكة ، فلا بد أن يكون رد الفعل عنيفا أشد ما يكون العنف ، وإلا ضاعت هيبة المتجبرين في الأرض ، والمتحكمين في مصير العرب ، بما أوتوا من كثرة في الرجال والأموال ، ووفرة في البطش والسلاح .

اوامر النبي القائد

الحرب على الأبواب ، وعند (أحد) كان الموعد ، واتخذ محمد الرسول المجاهد للأمر أهبته ، وحشد كل طاقات الأنصار والمهاجرين للزمان والمكان ، وصف صفوفه ، واتجه الى الرماة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :

احموا ظهورنا ، فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتتل فلا تعينوننا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إني اشهدك عليهم ، وارشقوا خيلهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل .

والتفت النبي القائد الحكيم الى رأس الرماة عبد الله بن جبير ، وقال له النبي : انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ، إن كانت — الدائرة — لنا أو علينا .

وأعاد النبي على الجميع أبلغ ما يكون القرار ، وأبرع ما يكون الأمر فقال النبي : لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال .

أوامر واضحة صريحة ، نطق بها القائد الأعلى ، وسمعها الرماة منه ، وهم لا يزالون على ذكر مما أظفرهم به رب العزة ، في أول لقاء حربي مع أعداء الله وأعداء رسوله ، على ماء (بدر) ، فلم يخذلهم أنصارا ولا مهاجرين وارتفعت راياتهم وبات المخلفون يعضون بنان الندم على انهم لم يغنموا ، مثلما غنم إخوانهم . فلا أقل من أن يكون لهم نصيب في (أحد) .

واختلفت النوايا المستورة في كهوف الغيب ، أما المؤمن فقد أصر على ما هو عليه من بذل الروح رخيصة في سبيل الله لا سواه ، وأما الكافر فهو

كان النصر الذي احرزه المسلمون في غزوة (بدر) حافزا لانتقام قريش منهم في (احد) ، بعد ان ظفر رسول الله بالغنائم والأسرى ، وما كان حرصه على الاحتفاظ بهذا النصر باقل من حرصه على اليقظة التامة لما يدبره ضده العدو الموتور سرا وجهرا ، ولهذا اعد للمعركة ما تتطلبه لمواجهة كافة الاحتمالات المرتقبة ، عن وعي كامل باصول القتال ، وادراك كامل الاستراتيجية المعاصرة ، مع الرعاية الربانية له في كل ما ينوي ويقول ويفعل ، نبيا ورسولا ، صدقه ربه جل جلاله بقوله تعالى :
« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

الاستاذ : محمد محمود زيتون

مع الشيطان ، وقد نفخ في منخريه ، فلم يبرح للطغيان عبدا مطيعا ، ينشد المال والجاه . واما المنافق فقد ظن بمنطقه الملتوي المنحرف انه يستطيع ان يخدع الله ورسوله ، ليسلك الطريق المستقيم بين الحق والباطل ، وقد غاب عنه « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، وغاب عنه ايضا « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا » حذّر الله سبحانه منهم رسوله ، فقال : « هم العدو فاحذرهم » .

لا مكان للمنافقين

وكان على رأس المنافقين يومئذ عبد الله بن ابيّ بن سلول ، وقد جاء بكتيبته مددا لجيش المسلمين ، وفي نفسه ما فيها ، ولكنه لا يعلم ان الله بكل شيء عليم ، وانه قد اطلع رسوله على ما هو خاف عليه ، فرد قزمان بمن معه، حرصا منه — وبارشاد من السماء ، وفي سرية تامة — على وحدة الصف ووحدة الهدف .

فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخشى أن يكثر المقاتلون معه فاذا تم لهم النصر المأمول ، ظفروا بغنائم لم يكونوا يستحقونها ؟ كلا وهل كان عليه السلام يخشى أن يكون ايمان المقاتلين معه متفاوتا ، فيكون الضعف عند بعضهم اشبه بالعدوى تضر بأقوياء الايمان ، من المهاجرين والأنصار ، وهم الرعيل الأول من الاسلام ؟ كلا .

لم يكن النبي — حينما رد المنافقين — إلا منفذا لما اطلعه الله عليه من اسرار النفاق التي لا تحيط بها الحواس ، « ولو نشاء لأريناكهم » ، وكيف يرغب في احدى الحسنيين من كانت الدنيا كل همه ، ومن كان سبيله اليها حب الظهور والرياء والسمعة والطمع في الزائل من اعراضها ؟

ثم ان الحروب الاسلامية التي يخوضها رسول الله والذين معه ، ليست

مجرد (قتال) ، وإنما هي (جهاد) بكل ما تحمله هذه اللفظة العملاقة من مفاهيم (الجهــد) و (الاجتهاد) و (المجاهــدة) و (الجــد) في الأمر ، و (الجود) بالنفس والمــال . ذلك الجهاد هو الســمة المميزة للقتال باسم الاسلام ، حافزه الايمان بالله ، وهدفه إعلاء كلمة الله ، وسبيله الوحيد الفريد هو سبيل الله الصافي من كل شائبة الخالي من كل مكدر للمثل العليا والقيم الانســـانية السامية ، فهــو خط مســتقيم ، أى أنه أقصر مســـافة بين نقطتين ، هما الحافز والهدف ، ذلك هو سبيل الايمان والمؤمنين ، وليس النفاق والمنافقون منه في شيء .

لكل فريق صــفوف

واصطف الفريقان للقتال ، وجاءت نســاء قريش يحرضن الرجال ، ويذمرنهم للثأر من محمد وأصحابه لقتلى (بدر) ، والعير التى غنموها على اثر المعركة ، واقبلن بالدفوف ينشدن الأناشــيد ، ويعيرن كل متخلف من رجالهن بما يدفعه الى النار دفعا ، من غير تدبر للعواقب .

أما جانب المسلمين ، فما كان ثمة مجال لتحريض الرجال على القتال من النساء ، اللهم الا هؤلاء الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ويتلكأون عن الانخراط في الصفوف المجاهدة ، وبذلك دلت على نفسها حية البحـر ، وكانوا يظنون الا يكشف الله أضغانهم .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : « كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو ، فيظهر الاسلام ، يقال له (قزمان) . وكان ذا بأس وقوة ، وكان كلما ذكروا اسمه للنبي قال : إنه من أهل النار » .

ترى هل كان (قزمان) ـــ او اى احد غيره ـــ يعلم أن الناس فيما بينهم سيختلفون حول شخصيته ، حتى في (الغزوة) التى اشترك فيها (أحد) ام (خيبر) .. فان كل دارس مستوعب يستطيع أن يحيط بمعالم حقيقتــه ، مما يضيفه بعضهم الى ما يقوله البعض الآخر ، وصولا الى العبرة التى تجتاز القرون الطوال ، لتكون ذكرى صلبة **« ان الذكرى تنفع المؤمنين »** .

على هامش النسب

كان (قزمان) حليفا لبني (ظفر) ، عديدا فيهم ، وليس منهم ، وبنو ظفر ـــ كاحدى دور الأنصـار ـــ لم تكن لتلفظ غريبا عنها ، لأنها اذا نسبته لم تجد له نسبا ، بل ابقته على هامشها ، لأنه ـــ كما يقول عاصم ـــ « كان ذا بأس وقوة » .

لهذا وحده ، كان وجوده في بني ظفر ، وهم يعلمون أنه مجهول النسب في قوم لا يتعامل مجتمعهم البدوى الا بالنسب الشريف ، فيشعر فيه (قزمان) دائما بأنه ساخط متذمر ، لا يجد ـــ مع ما هو فيه من بأس وقوة ، وشجاعة قتالية خارقة ـــ سبيلا للانضمام الى حظيرة الاسلام .

فهل يكتفي (قزمان) من هذا بغير « ادعاء الاسلام » : يظهره للقوم الذين يؤوونه ، مجاراة لهم ؟ ولكنه لا يجرؤ على الارتفاع الى مســـتواهم في العقيدة ، لانهم ذوو حسب ونسب ، ولهم آباء وأمهات ، ومن اصلابهم ينفرط عقد البنين والبنات ، فتتماسك الأصول والفروع ، وتقوى الأواصر والروابط .

من أين إذن لقزمان هذا الشعور الاجتماعي ، وهو الذي يعيش بين بني (ظفر) ، بلا زوجة ولا ولد ، ولا يدرى احد منهم ولا من جيرانهم ، له أما ولدته ، أو أبا يعرف به ، أو قبيلة ينتمي الى فخذ لهـــا أو بطن ، وان كانوا قد اختلقوا له أبا فقالوا : قزمان بن الحارث .

ومع هذا كان قزمان لأهل الدار حافظا محبا ، وعنهم منافحا ومداعبا ، وعليهم غيورا ، فان كان هذا هـــو (الوفاء) فما أوفى الكــلاب لمن اطعمها وعطف عليها ، بما ترده من جميل ، ومن هنا ضربوا المثل فقـــالوا : « أوفى من الكلب » .

حارب معهم بكل ما أوتي من بسطة في الجسم ، وقدرة على القتال ، فخاض معهم حروبهم التي دارت بين الأوس والخزرج ، شجاعا لا يهـــاب الموت ، ولا يخاف على حرمان قريب له في الدنيا ، اذا هو ترك الدنيا .

المسلمات يعيرن قزمان

ونادى منادى الجهـــاد ليوم (أحد) ، وخف له المســـلمون أنصـــارا ومهاجرين ، واصبح (قزمان) : فارتعدت فرائصه ، لم تسعفه قوة البدن ، ما دام القلب رعديدا جبانا ، والوجدان فارغ من شحنة ، لو كانت عند غيره ، لولّدت حرارة الإيمان بهدف نبيل .

وتعجبت نساء الأنصار من أمر (قزمان) ، فرَحْن يُعيِّرنه بالجبن والخور ، وينعتنه بالأنوثة ، وان كنّ هن اشد منه رجولة وبطولة . واخذت نساء بني ظفر يتضاحكن . ويتهكمن به ، حتى احفظنه ، فلم يلبث أن حمل كنانته ، وأتي رسول الله ، وهو يسوى صفوف المجاهدين .

وأبى الرياء الذي يملأ على (قزمان) جوانب نفسه الا أن يكون موضعه في الصف الأول . فانتهى اليه ، وكل من عرفه في حروب (بني ظفر) ينظر اليه بالاكبار والاجلال لشجاعته وحسن بلائه .

واستمع (قزمان) الى أوامر النبي ، وهو يلقيهـــا على المســـلمين ، ويزودهم بما لديه من خبرة القائد المحنك ، ويحذّرهم من المخـــالفة ، وهم سامعون له ، والله وحده اعلم بما في نية كل واحد منهم ، حتى دارت رحى القتال ، وحمي الوطيس .

كان لواء قريش لبني عبد الدار ، واذا بأول سهم من صفوف المسلمين ينطلق من كنانة (قزمان) ، والجميع من حوله يعجبون للنبال التي يرميها كأنها الرمال ، ويجأر هو بصوته كالجمل الضخم ، ليقذف الرعب في قلوب المشركين ظاهرا ، وهو إنما يريد أن يلفت اليه الانظار ، لتكون شجاعته مضرب الأمثال ، ويفعل بسيفه الأفاعيل ، ليكون (قزمان) ملء السمع والبصر جميعا .

احموا ظهورهم يا رماة

الرماة .. لا يزالون ــ كما أمرهم النبي ــ يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون بالنبال خيول المشركين ، فلا تكاد تقع على فرس أو جمل حتى تولى الأفراس والفرسان هاربة أو صريعة ، والمسلمون يشدون على كتائب الأعداء والخيول ــ كما أخبرهم النبي بحق ــ لا تقف أمام النبل ، وهو يتساقط من سهام المسلمين ، كالمطر المنهمر .

ويتهاوى أصحاب لواء الشرك من بني عبد الدار ، واحدا بعد واحد ، ويكون (قزمان) وحده قد قتل منهم (كلاب بن أبي طلحه) و (أبا يزيد بن عمير) و (القاسط بن شريح) و (صواب الحبشي) و (خالد بن الأعلم العقيلي) و (هشام بن أبي أمية بن المغيـرة المخزومي) و (الوليد بن العاص ابن هشام) حتى بلغ عدد المشركين القتلى ، من سهام (قزمان) وحده تسعة ، أما هو فقد حمل عليه الرمح أحدهم ، فسلك في غير مقتل ، ولكن أصابته الجراحة من ساعته ، فما استطاع لها دفعا .

ولم يكتم (قتادة بن النعمان) الانصاري إعجابه بهذه الشجاعة النادرة من (قزمان) وتمنى كل مؤمن في صفوف النبي أن لو كان له ما لقزمان من روعة في القتال ، وقدرة على إصابة الرجال ، وحسده (قتادة) حتى على الجرح الذي أصابه ، وتوقع له الشهادة في سبيل الله بعد قليل ، حيث قال قتادة : أبا الغيداق ، هنيئا لك الشهادة .

قزمان : إني والله ، ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ، ما قاتلت الا حفاظا (غضبا وخوفا) أن تسير قريش الينا ، حتى تطأ سعفنا (نخلنا) .

بطل ... ولكنــه منافق

لم يكن للناس حديث في (المدينة) في صباح ومساء إلا عن (قزمان) ، والمعركة التي شهدها ، فاخبروا النبي عنه ، بما رأت عيونهم ، وسمعت آذانهم ، وذكروا عنه أنه كان أبرز المقاتلين ، وأشجع الشجعان ، وأنه قتل وحده تسعة رجال ، أكثرهم من أصحاب لواء المشركين ، وما كان أحـدهم ليشك أنه شهيد ، وان الجنة قد فتحت أبوابها له ، تتراقص له الحور العين من شرفات قصورهن ، كأنهن اللؤلؤ المنثور ، أما النبي عليه السلام . فكان له قول آخر غير أقوالهم جميعا عن (قزمان) .

النبي : انه من أهل النار .

ــــ : (سرا) كيف ؟ يا للعجب !

وكتموا فرادى وجماعات قول النبي عن (قزمان) وراحوا يراجعون فيما بينهم وبين أنفسهم معايير الشهداء ، علّهم يصححون خطأ وقعوا فيه ، حسبما تعلموا من نبيهم المعلم ، وقائدهم الملهم ، غير مرتابين قيد شعرة ، في أي قرار يصدر عنه .

اما عن دخول (قزمان) الجنة ، فلعل درسا جديدا جاءهم به النبي في تلك الغزاة ، ستضيف الى ما عندهم معيارا جديدا للاستشهاد في سبيل الله .

لقد أثبتت الجراحة (قزمان) ، ونزفت منه الدماء ، ولا سبيل الى وقف جرح ينفجر من صاحب جسم ضخم كقزمان ، فاحتملوه الى دار بني ظفر ، لعل

رجلا — أو امرأة — هناك ، يمكن أن يوقد نارا ليكويه بها ، فتلتئم الجراح . ويمتنع النزيف ، وهو مع ذلك لا يشكو ولا يتوجع ، بل كلما دخل عليه أحد تمثى فى نفسه أن يتلوه عشرات مثله ، ففى كثرة العائدين له إشباع للنفاق ، وهو نقيصة فى نفسه انطوت عليها ، وارضاء لهوى من الأهواء المنزوية ، وهو الشعور بالحرمان من كثير ، دون غيره فى المجتمع الذى يعيش فى كنفه .

ويدخلون عليه أفرادا وجماعات ، وعلى كل لسان تهنئة بالبلاء الحسن الذى أبداه فى القتال ، ويكتم (سهل بن سعد) قول النبى عن (قزمان) : التقى هو والمشركون . ومع ذلـك يمضى الى (قزمان) ، وهـو جريح فيسأله :

سهل : والله لقد ابليت اليوم يا (قزمان) فابشر .
قزمان : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت الا على أحســاب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت .
ـــ : بشرناك بالجنـــة يا (قزمان) ؟.
قزمان : (فى سخرية) جنة من حرمل ، والله ما قاتلنا على جنة ولا على نار إنما قاتلت على أحسابنا .
ـــ : ؟ . . . ؟ . . . ترى يسخر بنا أم بنفسه ؟!.

مقـــــارنة

وعقدوا المقارنة بين ما يقوله النبى عن (قزمان) بأنه « من أهل النار » وبين ما شهدوه بأنفسهم من بلائه البادى للعيان . . وأعماق دخيلته التى تطفح إلحادا وكفرا . وتنضح تهكما وسخرية ، فهو — بلسانه — يقر اقرارا — على رءوس الأشهاد — بأنه لم يقاتل — حين قاتل — دفاعا عن دين الاسلام ، الذى عليه قومه الأنصار ، الذين قال فيهم شاعر الأنصــــار (حسان بن ثابت) :

سماهمـــو الله أنصـــارا لنصرهمـــو
دين الهدى ، وعوان الحرب تستعر

لم يقاتل (قزمان) فى سبيل الله ، ولا لإعلاء كلمة الله . ولا إيمانا بأن الجهاد فريضة لا فكاك منها ، ولا ثقة منه بأن الجنة مثوى الشهداء الأبرار . وأن النار مأوى الناكصين على أعقابهم ، الذين يولون الأدبار عند الزحف . . ولا إرضاء منه للكرام الذين آووه وأكرموه وعطفوا عليه . . لا لكل هذا ولا لبعضه قاتل (قزمان) . وانما هو المنافق المرائى ذو الوجهين ، الذى استهدف القتال على (أحساب) بنى (ظفر) ، ومناصرتهم كقوم يؤوونه ، ويحمونه من كل اذى ، وإلا تخطفته الطير ، وناوشته الرماح ، فهم له أهل ما دام ليس له أهل ، وحسبه هذا من شعور ينطوى عليه ، فكيف يعـــدو هذا الحد الى ما وراءه ، وهو عبد أحاسيسه ، التى فرضت عليه قيود العزلة ، حتى لم يعـــد قادرا على مداعبة خياله ، ولو مرة واحدة برغبته فى التأهل ، فمن هو ذلك المجنون فى العرب الذى يرضى بهذا الغريب له صهرا . . !

... واشتدت به الجراحة

وتمكن الشعور بالعزلة من (قزمان) حتى لم ير لنفسه منه مهربا .. لقد عاش ما عاش فى عذاب لا ينفك عنه مصبحا وممسيا ، رائحا وغاديا ، أما وقد بلغ قمة الرضى عن نفسه ، بما أداه من القتال فى صف (بنى ظفر) ، والحمية لشرفهم ومجدهم ، والحفاظ على مفاخرهم ومآثرهم ، والذود عن أرضهم ونخلهم ومواشيهم ، وتلك هى أبعاد الحياة الدنيا التى لا وراءها فى نظره الكليل ، فذلك حسبه من مناصرة لهم ، غير طامع فى جنة يبشرونه بها أو خائف من نار يحـذرونه منها ، انه قاتل عن الأحسـاب ، ولم يقاتل عن المبادىء والمثل والقيم ، التى بثها فى العرب دين الاسلام ، فتنطلق أرواحهم من إسارها لتسبح فى ملكوت الفداء ، وتعطى وتسخو ، أنبل ما يكون العطاء والسخاء .

ولم يلبث (قزمان) غير قليل ، فقد اشتدت به الجراحة ، ولم يفلح معه العلاج ، واقبل المساء ، وانقطع عنه عواده ، حتى أهل الدار ، فقد وضعوا قرار النبى عنه فى كفة ، وما فعله قزمان من اجلهم فى كفة أخرى ، فرجحت عندهم كفة النبى المصطفى ، فتركوه يلقى مصيره بما يشاء الله .

وامتدت يد (قزمان) الى كنانته ، ودمه ينزف ، ووجهه يأخذ فى الشحوب رويدا رويدا ، وتنتابه قشعريرة وإغفاءة ، ما بين الفينة والفينـة ، فكيف يسحبه الموت سحبا ، وقد فعل سيفه الأفاعيل غداة (أحد) . ألم يبشروه بالشـهادة ؟.

فليكن رصيده عنـد بعضهم ـــ ولو القليل منهم ـــ وهمـا شائعا بأن (قزمان) شهيد ، أو على الأقل ، ان يكون لهذا (القزمان) ذكر على أى نحو يكون عليه هذا الذكر ، بخير أو بشر . المهم أن يكون ذكر سيرته أقصى مراده .

ولم يعد (قزمان) يصبر ، فقد طال به الوقت ، وهو فى الحقيقة لم يطل ، فأخذ سهما من كنانته المشـحونة ، وقطع به رواهن ذراعه من الباطن وجعل يتوجأ به نفسه ، استعجالا منه للنهاية المحتومة لكل حى ، فلما أبطأ عليه الرجاء ، ساعفته البقية الباقية من تفكيره المنهار ، وهو يتداعى من كل جوانبه ، كأنه جدار يتصدع من غير نجدة ، وامسك بسيفه المتمدد الى جواره كالثعبان القتيل ، فوضع نصله بالأرض ، وتحامل على سيفه ، حتى خرج من ظهره ، فنحر نفسه ، ولفظ آخر انفاسه ، من غير توجع ، فاذا به جثة هامدة .. الى النار .. وبئس القرار .

وصدق رسول الله

شاع الخبر وذاع ، وعلم به الحاضر والبادى ، وأسرع (أكثم الخزاعى) الى رسول الله :

أكثم : يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر (قزمان) فقتل نفسه .

النبى : **قم يا (بلال) فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .**

ويتلوه آخر ، ليخبره أيضا بقزمان فيقول النبى أيضا .
النبى : الى النار .

ـــ : يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة . ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أىّ ذلك فى سبيل الله .. ؟

النبى : **من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله .**

ـــ : ..؟ .. ؟ ...؟.

النبى : إن احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من اهل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس ، وهو من اهل الجنة .

ولم يكد النبى عليه السلام يتم حديثه حتى جاء أحدهم يخبره عن (الأصيرم الأشهلى) الذى كان يأبى الاسلام على قومه ، فلما نادى منادى الجهاد صباح اليوم ، سأل عن قومه ، فقيل له : خرجوا مع رسول الله الى (أحد) ، فحدثته نفسه بالاسلام ، وحمل سلاحه وركب فرسه ، ودخل فى الصفوف ، وقاتل حتى أصابه جرح قاتل ، فلما هدأت المعركة تفقد الناس قتلاهم ، فوجدوه من بينهم يجود بروحه ، فتعجبوا من أمره ..

ـــ : ما جاء بك ؟ مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام ؟.

الأصيرم : لا والله ، بل رغبة فى الاسلام ، آمنت بالله ورسوله ، وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ومات بين أيديهم .

النبى : إنه من أهل الجنة .

ـــ : ولم يصلّ ركعة واحدة فى حياته ؟!

وشتان بين (الأصيرم) ، و .. (قزمان) .



اللواء : محمود شيت خطاب

المسجد المهجور الذى تحدثت عنه في مقال سابق ، أصبح اليوم معمورا بالمصلين وبذكر الله .

وأصبح الذين يجاورون المسجد ، يسمعون صوت المؤذن خمس مرات كل يوم ، يدعوهم الى الصلاة ويذكرهم بموعدها .

وأصبحت الصلوات الخمس تقام فيه جماعة ، وأصبح المصلون يجدون من يجيبهم على أسئلتهم الدينية ، وينصتون الى امام المسجد يعظهم ويرشدهم الى طريق الحق والخير .

وقد بدأ المسجد يعمر بالمصلين بالتدريج : كان المصلون قليلين أولا ، ثم تزايد عددهم ، حتى اوشك ان يزدحم بهم المسجد .

والظاهرة التي تستحق الالتفات ، ان أكثرية المصلين من الأطفال والشباب ، وان اقليتهم من الطاعنين في السن .

وهذه الظاهرة تشرح الصدور المؤمنة ، وتضاعف من آمالهم في المستقبل الزاهر بالايمان .

والواقع ، أن النفوس على استعداد لتقبل الهداية ، ولكن أين من يدعو الى الله على هدى وبصيرة لا .. أين ..؟

ان النفوس قد (مجت) الانحلال والتفسخ ، وقد كرهت انحدار النشء الجديد الى مهاوي الرذيلة ، فقد لمست (عمليا) محاذير الابتعاد عن الفضيلة والانغماس في الرذيلة ، ووجدت (التيه) والضياع الذي يعانيه الشباب لبعدهم عن الله ولقربهم من الشيطان ، فهي بحاجة شديدة الى من يعيدها الى طريق الحق والخير والنور .

ملت تلك النفوس حياة التشرد ، وتاقت الى حياة الاستقرار ، وكرهت طريق الاعوجاج واحبت طريق الاستقامة .

ولكل (فعل) كما هو معروف (رد فعل) ، وحياة شباب الهيبز والخنافس يقابلها رد فعل في حياة التقوى والورع .

والمساجد تزدحم عادة بالشباب في ايام الهزات العقيدية والخلقية كرد فعل للانحراف والمبادىء الوافدة المستوردة .

ان الشباب اليوم بحاجة ماسة الى من يقول لهم : من هنا طريق الحق والخير والايمان .

والمسجد المعمور خير مكان للدلالة على هذا الطريق .

— ٢ —

كيف اصبح المهجور معمورا ؟

عين (امام) للمسجد ، يصلي بالناس ، ويخطب خطبة الجمعة . وهذا الامام شاب في مقتبل العمر ، تخرج في معاهد دمشق الدينية ، ولهذه المعاهد سمة خاصة بها تكاد تكون قاعدة أساسية ، هي : ان خريجيها متدينون .

وقد جاء هذا الشيخ الشاب ، وفي نفسه تصميم على العمل في خدمة الدين الحنيف .

وبدأ يزور الناس في بيوتهم ، ويحثهم على زيارة المسجد المهجور ، وقد استجاب بعض الناس لدعوته ، واعرض عنها آخرون .

وفي خطبة الجمعة الأولى ، حث السامعين على استصحاب اولادهم الى المسجد لحضور صلاة الجمعة والصلوات الأخرى .

واستجاب بعض الناس لدعوته ، واعرض عنها آخرون ايضا .

وازداد عدد المصلين في الجمعة التالية ، وظهر عنصر الأطفال والشباب بين المصلين .

واخذ عدد المصلين الكهول والشيوخ يزداد ، ولكن ازدياد عدد الاطفال والشباب كان أكثر من ازدياد الكهول والشيوخ .

وقد صليت الجمعة الاخيرة في مسجد القرية المعمور ، فكان عدد الاطفال والشباب أضعاف عدد الكهول والشيوخ .

أخذ الأطفال يحثون اخوانهم من الاطفال على حضور المسجد .

واخذ الشباب يحثون لداتهم من الشباب على حضور المسجد .

وانتهز امام المسجد هذه الفرصة ، فاخذ يلقي دروس الوعظ على الأطفال والشباب وهم الاكثرية وعلى الكهول والشيوخ وهم الأقلية .

— ٣ —

كان المسجد وسخا جدا ، فاصبح نظيفا .

وكانت شبابيك المسجد تغص ببيوت العناكب ، وكانت رائحة المسجد عفنة ، وكانت جدرانه مجللة بالأوساخ .

وقد أردت أن افتح احد شبابيك

المسجد في ايامه الأولى ، فتلطخ ذراعي بنسيج بيوت العنكبوت .

وكانت فضلات الفئران برائحتها الكريهة تملأ جنبات المسجد وتنفذ الى خارجه .

وكان الذى يمر بالمسجد يشم رائحة كريهة وهو خارج المسجد .

وكانت أرضية المسجد قذرة الى ابعد الحدود .

وكان سجاد المسجد عفنا وسخا ، يلوث ثياب المصلين .

وكانت حديقة المسجد مليئة بالأشواك والأدغال .

وكان صحن المسجد اشبه شيء باماكن القمامة .

وشمر الامام الشاب عن ساعديه ، فاصبح المسجد مثالا للنظافة ، واصبحت شبابيكه نظيفة جدا ، واصبح السجاد الذى فيه نظيفا ، واصبحت حديقته غناء .

أصبح المسجد مكانا مناسبا لاجتماع الناس نظافة ونظاما وترتيبا ، واصبح الذين يؤمونه يتعلمون منه وفيه النظافة ليطبقوها في بيوتهم .

واصبح المسجد مكانا مناسبا لسماع كلمة الدين ، فليس من المعقول أن تامر الناس بالنظافة ، والنظافة في الاسلام واجب مقدس ، ثم يكون المسجد مثالا للقذارة والارتباك .

والمهم فى الأمر ، أن الامام الشاب استفاد من الأطفال والشباب ، لتبديل المسجد من حال الى حال .

وقد قام هؤلاء بتنظيف المسجد وتعميره بحماس شديد ، طلبا لما عند الله من اجر وثواب .

وقد رأيتهم حريصين على القيام بخدمة المسجد ، يطالبون بها الامام كل يوم .

كان المسجد مقبرة ، فاصبح جنة .

وكان يسيء الى سمعة المسلمين ، فاصبح موضع اعتزازهم .

والفضل فى ذلك للامام الشاب .

— ٤ —

الداعية روح الدعوة ، ونحن بحاجة ماسة الى الدعوة فى (الداخل) كحاجتنا الى الدعوة فى الخارج .

وقد يعمل رجل الدين العالم العامل المجاهد في خدمة الدين وفى الدعوة الى الله ، اعمالا فذة لا تستطيع النهوض بها المدارس والمعاهد والجامعات .

والمهم هو اختيار رجل الدين الصالح ، ليتولى ادارة المسجد وليجعل من المسجد المهجور معمورا .

وقد أحسن المسئول الدينى فى البلد الشقيق الذى أحل فيه الاختيار ، فجزاه الله عن المسلمين فى القرية النائية خير الجزاء .

وأملي وطيد في ان يعمر المساجد المهجورة الأخرى فى القرى النائية بمثل هذا الامام الشاب .

لقد تعلمت من هذا الشاب المعمم درسا لن أنساه ، هو أن الداعية المخلص يستطيع ان يفعل كثيرا من الأمور التى هى بحاجة الى المال بدون مال !

فقد ادخل في المسجد تحسينات كثيرة تساوى الكثير فى حساب المال ، ولكنه انجز تلك التحسينات بالأطفال والشباب .

بدأ ببناء نفوس هؤلاء وتطهيرها ، فاصبحت مستعدة لعمل كل شيء .

كتب سفير امريكى الى حكومته سنة ١٩٦٢ : « ان عمامة بيضاء في افريقية السوداء اخطر من قنبلة ذرية » .

وصدق هذا السفير ، فالقنبلة الذرية تدمر الرجال ، والعمامة البيضاء تبنى الرجال .

بقى ان يعرف المعممون مكانهم ومكانتهم ، فهم ورثة الأنبياء ، وهذا اعظم منصب فى الدنيا .

وبقى عليهم ان يعملوا على ان يكونوا ورثة الأنبياء حقا .



للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

يعتبر موضوع الاسرائيليات في التفسير والحديث أمرا بالغ الخطورة لأنه يتعلق بأقدس كتاب وأخلد عقيدة ، القرآن الكريم والعقيدة الاسلامية .

والكثير من التفاسير وبخاصة المأثور منها قد ذكرت الاسرائيليات على تفاوت بينها قلة وكثرة ونقدا لها وسكوتا عنها ، وقد أشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى هذا فقال « في التفسير من هذه الموضوعات قطعة كبيرة ، مثل الحديث الذى يرويه الثعلبي والواحدى والزمخشرى في فضائل سور القرآن سورة سورة فانها موضوعة باتفاق أهل العلم ، والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ، وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع ، والواحدى صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكنه هو أبعد عن السلامة واتباع السلف ، والبغوى في تفسيره مختصر من الثعلبي ، لكنه صان نفسه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، والموضوعات في كتب التفسير كثيرة » (1) ..

ودلالة هذا ، اننا نحتاج الى دراسة عميقة متأنية للتفاسير والروايات المأثورة بحيث نجد أمامنا هذا الحشد الهائل من التفاسير التى اكتظت بالاسرائيليات قد نقيت وخلت منها تماما ، وهو عمل يحتاج الى مؤسسة قرآنية أو جماعة متخصصة تتضافر جهودها على الكشف من هذه الاسرائيليات ونقدها وإبطالها وبخاصة في عصرنا هذا الذى أصبح التقدم العلمي والتكنولوجي من أكبر الحوافز التى تجعلنا — نحن الدارسين للتراث الاسلامي — نشعر بحمل ثقيل على كواهلنا طالما كانت هذه الاسرائيليات في كتب التفسير وبعض كتب الحديث وغيرها . ولن نهنأ حتى نقدم للمسلمين تراثا يغزو القلوب بدون تردد ، وفكرا تستسيغه النفوس بدون تشكك

وتفسيرا تفهمه العقول بغير تناقضات لأبسط الأسس العلمية .

وبعد دراستي لتفسير ابن كثير مع مقارنته ببعض التفاسير الاخرى أرى أن الحافظ ابن كثير هو أحد المفسرين القلائل الذين هاجموا بشدة هذه الخرافات الاسرائيلية وحذر منها كثيرا في تفسيره وفي كثير من كتبه منذ ما يزيد على الستمائة عام .

ولقد كان هجوم ابن كثير على هذه الاسرائيليات قائما على أساس علمي سليم ، وتفنيدا لها من حيث السند والمتن ، مؤكدا لنا أن غالب هذه المرويات كذب وافك مبين . يقول ابن كثير : « ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ، ثم ما أقل فائدة كثير منه ولو كان صحيحا » (٢) .

وهي كلمة حق يراد بها حق ، ما أقل الصدق في الاسرائيليات ثم ما أقل الفائدة المرجوة منها ولو كانت صحيحة لأن ديننا قد كمل في عقيدته وشريعته (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٣) .

موقف ابن كثير من الاسرائيليات

وقد عرض ابن كثير في مقدمة تفسيره وفي ثناياه — موقفه من الاسرائيليات وبين حكمه فيها في اكثر من وضع مؤيدا ما ارتآه بما ورد في كتب السنة الصحيحة . ذكر عن الامام أحمد فيما رواه عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى مررت بأخ لي يهودى من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة . الا اعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال عبد الله بن ثابت قلت له : الا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد رسولا قال : فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « والذى نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى — عليه السلام — ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظى من الامم ، وانا حظكم من النبيين » (٤) .

وينقل عن الحافظ أبي يعلى فيما رواه عن جابر — هذا الحديث — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم أما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق وانه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعني » . وفي بعض الاحاديث : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي » (٥) .

والنهي عن الأخذ من أهل الكتاب في هذين الحديثين واضح ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه حين يسمع عرض عمر لقراءة ما كتب له من التوراة عليه ، وقد تكون هذه الجوامع تهذيبا للنفس ، أو حثا على الاخلاق ، أو شيئا يرضى رسول الله في ظن عمر بن الخطاب . لكن هذا التلقي عن أهل الكتاب مرفوض أصلا . أما الحديث الثاني فالنهي فيه صريح .

وفي موضع آخر من التفسير يذكر رواية للامام أحمد عن جابر بن عبد الله (ان عمر بن الخطاب اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب اصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال — فغضب وقال : امتهوكون (٦) فيها يا بن الخطاب ؟ . والذى نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسالوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو باطل فتصدقونه . والذى نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني » (٧) .

وعمر — رضي الله عنه — لا يقبل أمرا يغضب الله ورسوله ، ومن ثم

فقد استجاب لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى هذا الدرس جيدا حتى جاءته الخلافة فوقع لرجلين ما حدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« روى الحافظ أبو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي باسناده أن رجلين كانا بحمص في خلافة عمر رضي الله عنه فأرسل اليهما فيمن ارسل من أهل حمص ، وكانا قد اكتتبا من اليهود (صلاصفة) (٨) فأخذاها معهما يستفتيان فيها أمير المؤمنين يقولون ـ ان رضيها لنا أمير المؤمنين ازددنا فيها رغبة ، وان نهانا عنها رفضناها ، فلما قدما عليه قالا ـ إنا بارض اهل الكتاب وانا نسمع منهم كلاما تقشعر منه جلودنا افناخذ منه أو نترك ؟ فقال ـ لعلكما كتبتما منه شيئا . فقالا : لا . قال : سأحدثكما انطلقت في حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أتيت خيبر ، فوجدت يهوديا يقول قولا أعجبني فقلت : هل أنت مكتبي مما تقول ؟ قال : نعم . فأتيت باديم فأخذ يملي على حتى كتبت في الاكراع : فلما رجعت قلت : يا نبي الله ، واخبرته . قال : «ائتني به» . فانطلقت أرغب عن الشيء رجاء أن اكون جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض ما يحب فلما اتيت به قال : (اجلس اقرأ على) فقرأت ساعة ثم نظرت الى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاذا هو يتلون ، فتحيرت من الفرق ، فما استطعت ان أجيز منه حرفا ، فلما رأى الذي بي ، رفعه ثم جعل يتبعه رسما رسما ، فيمحوه بريقه وهو يقول : « لا تتبعوا هؤلاء فانهم قد هوكوا وتهوكوا » . حتى محا آخره حرفا حرفا . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فلو علمت انكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نكالا لهذه الامة ، قالا : والله ما نكتب شيئا أبدا ، فخرجا بصلاصفتهما ، فحفرا لها فلم يألوا أن يعمقا ، ودفناها فكان آخر العهد منها .

قال ابن كثير وروى أبو داود في (المراسيل) من حديث ابن قلابة عن عمر نحوه (٩) .

لهذا وغيره نجد الحافظ ابن كثير يتعقب الاسرائيليات ، ويبطل كثيرا منها ، لكن ، ما رأى ابن كثير في الحديث الذي رواه الامام البخاري ، وذكره هو في مقدمة التفسير والذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » ؟ الاجابة عن ذلك نجدها في تقسيمه للاسرائيليات .

اقسام الاسرائيليات :

قسم الحافظ ابن كثير الاسرائيليات كما فعل شيخه ابن تيمية في كتابه (مقدمة في اصول التفسير) الى ثلاثة اقسام : ـ

« أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ، ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، ويجوز حكايته » (١٠) .

ويتحدث عن القسم الثالث في موضع آخر (١١) فيقول : (ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقول عليه السلام : « حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج » وهو الذى لا يصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم « (١٢) .

اما ما جاء موافقا لما عندنا ، فمثاله ما رواه الحافظ ابن كثير عن ابن جرير الطبري عند تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ..)

الاعراف : ١٥٧/٧ .

« قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا فليح عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى التوراة قال : أجل ، والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن (يأيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للاميين ، أنت عبدى ورسولى، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، وأعينا عميا . قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلف حرفا ، الا ان كعبا قال بلغته : قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا » .

قال ابن كثير معلقا على هذا الحديث : وقد رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال بن على . فذكر باسناده نحوه ، وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وذكر حديث عبد الله بن عمرو (١٣) .

أما القسم الثانى من الاسرائيليات وهو ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، فهى كثيرة، وقد ذكر ابن كثير شيئا كثيرا منها ، وعقب عليه بالنقد وأبطله ، وسنضرب لذلك الامثال فيما بعد أن شاء الله .

أما القسم الثالث ، وهو المسكوت عنه فيوضح ابن كثير موقفه منه حين يقول فى مقدمة التفسير : « وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى ولهذا يختلف علماء اهل الكتاب فى هذا كثيرا ، ويأتى من المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا اسماء اصحاب الكهف ،ولون كلبهم ،وعددهم ،وعصا موسى من أى الشجر كانت ، واسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، الى غير ذلك مما أبهم الله تعالى فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم » .

ثم يبين حكم نقل الخلاف فى ذلك وفائدته فيقول : —

« ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز كما قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا » (١٤) . فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى منهم ثلاثة أقوال ، ضعف القولين الاولين وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما . ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته . فقال فى مثل هذا (قل ربى أعلم بعدتهم) فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه عليه . فلهذا قال : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) . اى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لا يعلمون من ذلك الا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف ، أن تستوعب الاقوال فى ذلك المقام ، وان تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فتشتغل به عن الأهم فالأهم » (١٥) .

ونفيد من هذا النص :

١ — ان ما أخذ عن أهل الكتاب مما هو مسكوت عنه تجوز روايته .

٢ — وان هذا المروى لا فائدة فيه .

٣ ــ كثرة الخلاف فى هــــــذه المرويات .

٤ ــ وجوب استيعاب الاقوال فى حكاية الخلاف والتنبيه على الصحيح والبــاطل ، وذكــر فائدة وثمــرة الخــلاف .

٥ ــ عــدم اثارة الخلاف فيمــا لا طائل تحته حتى لا يتشعب الخلاف ويضيع الزمان .

ويؤكــد ابن كثير حرصه علــى الاعراض عن كثير من الاسرائيليات لما فيها من تضييــع الوقت ، ومــا اشتملت عليه من كذب فاضح فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولقد آتينا ابراهيم رشــده من قبــل وكنــا به عالمين » الانبياء ــ ٢١/٥ « وما يذكر من الاخبار عنه فى ادخال أبيه له فى السرب وهو رضيع ، وانه خرج بعد أيام ، فنظر الى الكواكب والمخلوقات ، فتبصر فيها ، وما قصــــه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بنى اسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقتــه الصحيح ، وما خالف شيئا من ذلــك رددناه ، وماليس فيه موافقة ولامخالفة لا نصدقه ولا نكذبه ، بل نجعله وقفا ، وما كان من هــذا الضرب منها فقــد رخص كثير من السلف فى روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ، ولا حاصل له مما ينتفع به فى الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين فــى دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملــــة الشاملة .

والذى نسلكه فى هذا التفسير ، الاعراض عن كثير مــن الاحاديــث الاسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان ، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم ، فانهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمهــا ، كما حرره الائمة الحفاظ المتقنون من هـــــذه الامة » (١٦) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فما أبلغ هذا البيان عن الاسرائيليات وما أروعه !! .

ان الكثير منها كذب وبهتان ، وفى ذكره تضييع للزمان ، وعدم فائدة تعود على المكلفين ، ومع هذا فان الكثير من السلف ــ رحمهم الله ــ قد وضعوا هذا الكذب المنقول عن أهل الكتاب غير الحفاظ والذى لا فائدة منه بجــوار كلمات الله ، تفسيرا لبعضها ، وهو أمر ما كان ينبغى أن يحدث . ولذا فان الحافظ ابن كثير قد وجه انتقــادات كثيرة لهذه الاسرائيليات التى لا يقبلها عقل سليم ولا يقرها شرع صحيح ، وأرجو أن أبين هذا الموقف الكريم لابن كثير فى مقالات أخرى ان شاء الله .

● ابن كثير هو العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ اسماعيل بن عمر المولود سنة ٧٠٠ هـ والمتوفى سنة ٧٧٤ هـ وقد نلت عنه وعن منهجه فى التفسير درجة الماجستيـــر من كلية دار العلوم جامعة القاهرة .

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ١٩ مطبعة الترقى بدمشق الطبعة الاولى .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٦/٣ طبعة الحلبى .

(٣) المائــدة ٣/٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٧٨/١ .

(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٦) التهوك : التحير .

(٧) تفسير ابن كثير ٤٦٧/٢ .

(٨) الصلاصفة : شىء يكتب فيه .

(٩) تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ .

(١٠) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١١) المصدر السابق ٢٧٥/٢ .

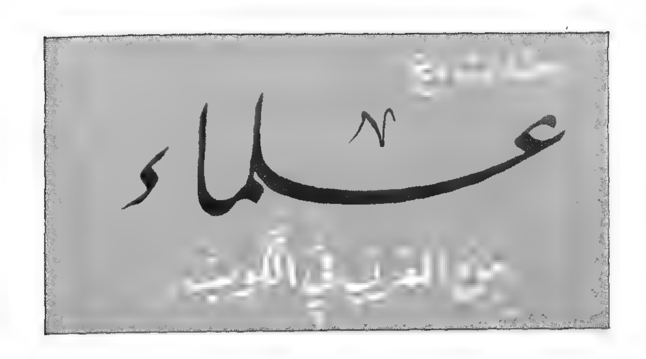
(١٢) هناك أقسام أخرى للاسرائيليات باعتبار الموافقة لما فى شرعنا أو المخالفة له ، وباعتبار موضع الخبر الاسرائيلى وهى قريبة من بعضها وقد ذكرها الاستاذ الفاضل محمد حسين الذهبى فى كتابه القيم (الاسرائيليات فى التفســير والحديث) .

(١٣) تفسير ابن كثير ٢٥٣/٢ .

(١٤) الكهف ٢٢/١٨ .

(١٥) تفسير ابن كثير ٤/١ .

(١٦) المصدر السابق ١٨١/٣ ــ ١٨٢ .



اعداد الاستاذ عبد الحميد محمد البسيونى

من الارض التي كانت معبرا للنور ..
وحملت عبق المجاهدين الأوائل ، من أمثال عقبة بن نافع ، وموسى بن نصير وحسان بن النعمان الغساني ..
وولدت القائد الفذ طارق بن زياد ..
من أرض المغرب الحبيب ، البلد العربي المسلم الذي اذهل جنده في معركتنا الاخيرة كل عربي بالمشرق ، بثباتهم الصابر ، وحماستهم المؤمنة .
من هذه الأرض الطيبة ، نزل الكويت ، ضيفا على وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جماعة من علماء المغرب ، هم الأستاذ الشيخ « الحسن السايح » المدير السابق للتعليم الاسلامي بالمملكة المغربية ، والمفتش الأول بوزارة التربية الوطنية وأستاذ الآداب بالمعاهد العليا .. وللأستاذ السايح يد في توجيه الثقافة الإسلامية بالمغرب ، إذ هو من مؤسسي « اتحاد كتاب المغرب » ، و « شبيبة النهضة الاسلامية » ..
ومنهم الأستاذ « أحمد سحنون » رئيس قسم التعليم العالم بوزارة التربية الوطنية ..
والأستاذ جبران عبد السلام المسفيوي ، نائب عميد كلية الدراسات العربية بمراكش .
وقبيل عيد الفطر المبارك ، التقيت بالعالمين الفاضلين السايح وسحنون ، وكان من أهم دوافع هذا اللقاء لدى مجلة « الوعي الاسلامي » أن تقف قارئها على أهم المعالم العلمية ، وخاصة ما يتعلق بالثقافة الاسلامية والتعليم الديني ، ولكن صوت

المعركة الحالية جعلنى أبدأ الحوار بهذا السؤال :

● ترون سيادتكم أن المعركة الحالية هى رأس الأمر الذى يشغل بال المسلمين ، فما الرأى الذى تدلون به موضحا واجب الجماهير المسلمة فى الأمة العربية نحو المعركة ؟

وتفضل الشيخ السايح ، بعد نظرة الى صاحبه ، كأنه يسترجع معه حديثا تجاذباه من قبل ، فقال :

ـ الأمر الآن ليس أمر رأى ووصايا ، وللمرة الأولى اشعر ، ويشعر معى كل عالم وكل فرد ، أن حركة الأمة المسلمة : الواعية ، المليئة بالحماسة والثقة ـ قد سبقت كل كلام ، وفاقت كل تعبير . . ومن هنا أبدأ بأول الرأى :

أن يستمر كل مسلم على هذه الوتيرة : **وعى لا يغفل ، وعمل لا يفتر ، وكلام قليل .**

موسى بن نصير .. القائد الفاتح ، يهدى تجاربه لقوادنا فى الحرب

وأضاف الأستاذ الشيخ أحمد سحنون :

لعله من الخير هنا ، أن أسوق ما قاله أحد قادة الفتح فى المغرب : موسى بن نصير رحمه الله . . سأله سليمان بن عبد الملك : ماذا كانت عدتك فى حرب عدوك ؟

فأجاب : التوكل على الله ، والدعاء إليه يا أمير المؤمنين . .

فيسأله سليمان : هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق ، أم كنت تخندق حولك ؟

فيجيب القائد الخبير المؤمن : **كل هذا لم افعله ، بل كنت أنزل السهل ، واستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله ، وأرغب إليه فى النصر ..**

فبادرت قائلا : هذا كلام يحتاج الى فضل بيان .

ويمد الشيخ يده الى كتاب بجانبه بعنوان « قادة الفتح الاسلامى فى المغرب العربى » ، ويقول : هذا كتاب الفه رجل من رجالات الحرب ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، واظنه أولى الناس بما سألت من بيان ، ثم قرأ هذه السطور :

« إن موسى بن نصير كان قائدا تعرضيا ، يهاجم عدوه دائما ، ولا يؤمن بالدفاع ، وكان يستشعر الخوف من عدوه ولا يستهين به ، ولذلك يعد له كل ما يستطيع من قوة ومن رباط الخيل ، ويصبر على قتاله » .

وخشيت أن تستطرد بنا القراءة ، فسألت :

● ولو تكرمتم ببيان الدور الذى ينبغى أن يقوم به رجل الدين فى المعركة . .

فأجاب الشيخ السايح :

ـ لى اعتراض شكلى على السؤال . . فرجل الدين فى المعركة هو الذى يحمل السلاح الآن ، ويصلى بحر المعركة ، ليذود عن دينه وعرضه ووطنه ، فذلك المسلم حق المسلم . . فنبينا صلى الله عليه وسلم ، هو صاحب الدين ، وهو افضل المجاهدين ، ومن اقواله الفذة **« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » ..**

أما إن كنت تريد دور « العالم » فدوره واضح جدا : أن يكون هو النموذج العملى أمام الجماهير بذلا وتضحية ، وأن يكون أول المبادرين لما ينصح به غيره .

● والآن يا سيدى ، نحب أن يقف القارىء المشرقى على لمحة مختصرة من الواقع الاجتماعي والديني في « المملكة المغربية » ؟

وتفضل الشيخ الحسن السايح فقال :

ـ المغرب واقعا ، والمغرب تاريخا ، بلد **عربى مسلم** ، فلم يعرف المغرب قبل الإسلام « شخصية كاملة » ، وإنما تبلورت هذه الشخصية حين بلغته جحافل الفاتحين ، الحاملين لرسالة الإسلام ، فوجدت المغاربة الأولين ، وهم من البرابرة ، الذين يرجع أصلهم إلى **العرب اليمنيين** حسب الروايات المعتمدة عند ابن خلدون ، وغيره من علماء التاريخ والاجتماع . . ولعل ذلك هو الذى يعلل مساندة المغاربة القدماء للفينيقيين فى مقاومة الغزو الرومانى الوندالى ، إنه وحدة الأصل المشرقى . .

● من هم البربر ؟

● لماذا ساند البربر الفينيقيين في صد الغزو الروماني ؟

● متى وجد البربر أنفسهم ؟

حتى إذا جاء الاسلام وجد المغاربة فيه شخصيتهم . . وما هى الا سنوات معدودة حتى ظهر القائد البربرى **طارق بن زياد** ، قائد الفتح فى بلاد الأندلس ، وله خطبة مشهورة بالعربية ، تعد من نماذج الفصاحة والبيان ، ثم ظهر من الفقهاء المغاربة **يحيي الليثي** تلميذ الإمام مالك . . ولعل اكبر الدليل على انتشار العربية المبكر فى المغرب ، أنه قد ظهر فيه منذ بداية الفتح الاسلامى مئات الشعراء والخطباء والكتاب .

● وبم تعللون سيادتكم هذه الاستجابة السريعة للتعرب ؟

ـ ذكرت لك أولا « وحدة الأصل » ، وفى هذا وحدة الفطرة اللغوية ، والاهم من ذلك استجابة البربر السريعة للاسلام ودخولهم فيه ، فكان القرآن الكريم بغير شك هو العامل الأول فى انتشار اللغة العربية ، لأن المسلمين يحفظونه ويرتلونه ، فهو كلام ربهم ، والأصل الأول للدين ، ثم يتعلمون من العلوم ما يعين على شرحه وفهمه . .

● والآن نحب ان نسأل : ما الإطار الاسلامى للمغرب الحديث ؟

ـ المغرب الحديث هو استمرار للمغرب القديم ، وإن شئت التحديد فالمغرب بلاد عربية مسلمة فى إطار حديث . . ونعم ، لقى المغرب فى سبيل الحفاظ على هذا الاطار جهدا جهيداً ، وما زال حتى يوم الناس هذا يبذل فى ذلك جهودا عظيمة . . فلعل المواطن المشرقى هنا قد وقف على طرف من الصراع الرهيب بين العربية : لغة الإسلام ووعائه ، والفرنسية التى عمل المستعمر الفرنسى على تثبيتها ، وجعلها لغة العلم والثقافة مكان العربية . . ولكن نتيجة الصراع أثبتت الغلبة للعروبة والإسلام . . والأدق من ذلك أن نقول : أثبتت الغلبة للعروبة بسبب الإسلام . .

● حرب الاستعمار للغة العربية .

● مفهوم « العروبة » في المغرب .

● أهم الجمعيات الاسلامية في المغرب .

وإذا سمحت لى ، فأحب أن أوضح **مفهوم العروبة فى المغرب** ، **فهى عندنا لا تعنى عروبة الجنس ، بقدر ما تعنى عروبة اللغة والأخلاق والقيم ، ولهذا ينص الدستور المغربى على أن الإسلام دين الأمة المغربية ، والعربية لغتها .**

وإذا زرت المغرب اليوم فسوف تجد عشرات الجمعيات والأندية الاسلامية ، اذكر لك من بينها « رابطة علماء المغرب » و « جمعية قدماء القرويين » و «رابطة علماء سوس » و « جمعية خريجي دار الحديث الحسنية » . .

● وماذا عن المجلات الإسلامية في المغرب ؟
ــ نعم ، تصدر في المغرب عدة مجلات إسلامية ، من بينها « دعوة الحق » و « الارشاد » و « الثقافة المغربية » و « الباحث » و « تطوان » . . هذه المجلات ذات طابع إسلامي أساسا . . ولا تنس الصحف السيارة اليومية ، التي لا تخلو صفحات منها من الحديث عن الشؤون الاسلامية ، والمشاكل الفكرية ودور الإسلام فيها . .

● ما دام الحديث عن الثقافة ، فنرجو من الأستاذ أحمد سحنون ، رئيس قسم التعليم العالي بوزارة التربية أن يعطينا فكرة مفصلة عن التعليم الديني بالمغرب . .
ــ إن التعليم الديني بالمغرب يرتبط ارتباطا وثيقا بجامعة القرويين ، التي تعتبر من أقدم الجامعات في العالم ، حيث انها أسست سنة ٢٤٥ هـ على يد **أم البنين : فاطمة الفهرية** إحدى المهاجرات من القيروان الى فاس . . ومنذ تأسست وهي تقوم بدور التثقيف والتربية والتعليم ، وقد تخرج منها على مر العصور مئات العلماء في مختلف العلوم والفنون .

● جامعة القرويين من أقدم الجامعات ، فمتى أسست ؟
● من المرأة المسلمة التي أسست هذه الجامعة ؟
● متى ادخل عليها النظام الحديث ؟
● ما الدور الذى تقوم به جامعة القرويين في أفريقيا ؟

● هل يعني هذا أنه كان فيها أقسام مختلفة بحسب فروع المعرفة ؟
ــ نعم على نحو ما ، اذ كانت الدروس فيها حلقات حلقات ، في كل حلقة عالم يدرس فنا من فنون المعرفة يتصدر فيه ، كالتفسير والحديث والفقه وأصوله . .
● إذن كان الأمر يقتصر على العلوم الشرعية !
ــ كلا ، فقد كان هناك أيضا ما يسمى بعلوم الآلة ، من نحو وصرف وبلاغة ، وكذلك علوم الفلك والرياضيات وغيرها . .
والجدير بالبيان أن الطلبة كانوا هم الذين يختارون الأستاذ بحسب ميولهم والفن الذي يرغبون في تحصيله .

● ما المدة التي كان على المتعلم أن يقضيها في جامعة القرويين ؟
ــ لم تكن هناك مدة محدودة . . ما هو إلا أن يتم الطالب دروسه على أستاذه أو أساتذته ، ثم يشعر أنه تكونت لديه ملكة في الفهم والاحاطة ، وأن لديه القدرة على التدريس ، فتجتمع لجنة من كبار العلماء لامتحانه ، فان نجح أعطوه اجازة التدريس . . وكان الطالب يحصل على أكثر من إجازة من العلماء المتصدرين كاعتراف له بالقدرة على التدريس أو الافتاء أو الرواية .
وفي سنة ١٩٣٠ م أصبحت الدراسة في جامعة القرويين نظامية ، ووزعت الدراسة فيها على اثنتى عشرة سنة : ثلاث ابتدائية ، وست ثانوية ، وثلاث في

التعليم العالى ، يحصل الطالب بعدها على « شهادة العالمية » وهى أعلى شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين .. كما توسعت الجامعة ، فأصبح لها فروع فى فاس ومكناس ومراكش وتطوان .

ومنذ عهد الاستقلال توسعت دائرة التعليم الدينى ، فشملت معاهده جل المدن المغربية ، وادخل تعديل على نظام جامعة القرويين ، فأصبح التعليم العالى فيها يضم ثلاث كليات ، هى : كلية الشريعة بفاس ، وكلية أصول الدين بتطوان ، وكلية الدراسات العربية بمراكش ، ومن المنتظر أن تفتح كليات أخرى فى المستقبل القريب بحول الله .

ومن الجدير بالتنويه أن كل مؤسسة من مؤسسات التعليم الدينى تحتوى على مكتبة خاصة بها ، بالاضافة الى مكتبة القرويين الكبرى ، التى تحتوى على كثير من المخطوطات النادرة ، التى لا وجود لها فى غيرها .

وقد تعززت جامعة القرويين باحداث « دار الحديث الحسنية » بالرباط ، وهى مؤسسة للدراسات الاسلامية العليا ، وتمنح لقب الدبلوم والدكتوراة .

● لو سمحتم لى سيادتكم بسؤال : هل تقتصر جامعة القرويين على قبول الطلبة المغاربة فقط ؟

ـ هذا ما كنت سأتم به حديثى .. كانت جامعة القرويين ولا تزال تضم الكثير من الطلبة المسلمين ، من مختلف أنحاء العالم ، وخصوصا من افريقيا وآسيا ويوجد بها الآن فى المرحلتين الثانوية والعالية حوالى خمسمئة طالب أجنبى ، من مختلف الدول الافريقية والأسيوية ، وحتى من أوروبا .

وأحب إكمالا لصورة التعليم الدينى فى المغرب أن انبه الى ان هناك نوعا آخر من التعليم الدينى لا يخضع كسابقه لاشراف وزارة التربية ، فهناك مراكز أخرى للتعليم الدينى ، توجد فى اهم المدن المغربية ، الغرض منها تكوين الدعاة والمرشدين ، ويشرف على هذه المراكز وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية .

وفى نهاية جوابى ، أحب أن أقول للقارىء إن هذه لمحة سريعة ، بل خاطفة عن التعليم الدينى بالمغرب ، وقد صدرت عدة دراسات عن هذا التعليم وتطوره ، وعن جامعة القرويين بالخصوص ، وآخر ما اذكر من ذلك اطروحة للدكتور عبد الهادى التازى سفير المغرب سابقا بالعراق واحد علماء جامعة القرويين ..

● أشرتم فى حديثكم الى مكتبة جامعة القرويين ، فهل لكم أن تزيدونا إيضاحا عنها ؟ وهل بالمغرب مكتبات أخرى ؟

- ● ماذا تعلم عن مكتبات المغرب ؟
- ● نفائس المخطوطات التى تنفرد بها جامعة القرويين .
- ● ماذا قال بروكلمان عن الخزانة العامة ؟
- ● الخزانة الملكية بالرباط .
- ● مكتبات المساجد .
- ● المكتبات الخاصة .

ـ الواقع أن المغرب ملىء بالمكتبات ، منها العام ، ومنها الخاص .

وتعتبر مكتبة جامعة القرويين (وهى قريبة من الجامعة بمدينة فاس) من اقدم المكتبات المغربية ، وتضم مجموعة كبيرة من الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، واهم ما فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة ، بل ان بها ـ كما قلت ـ مخطوطات لا وجود لها بسواها .

وتوجد بالرباط مكتبة لا تقل عن مكتبة القرويين ، وهى قسمان : قسم للمطبوعات ، وآخر للمخطوطات والوثائق ، يحوى عدة آلاف من الكتب ، بعضها لا يعرف له نظير حتى الآن فى مكتبات العالم ، كما أكد ذلك بروكلمان وغيره من

المهتمين بهـذا الميـدان .

وتوجد أيضا بالرباط الخزانة الملكية ، وهي وإن كانت ملكا خاصا للعائلـة المالكة فإنها موضوعة رهن إشارة العموم ، وبهـا هي الأخرى نفائس عظيمـة لا وجود لمثلهـا .

ويقبل على هذه المكتبات الثلاث كثير من الدارسـين ، والمهتمين بالتحقيق ، وتزورها بعثات علمية وثقافية من جميع بقاع العالم .

وبالاضافة الى هذه المكتبات الثـلاث توجد مكتبات متوسـطة وصغيرة في مختلف المدن المغربية ، كما توجد مكتبات مهمة جدا في كثير من الزوايا والمساجـد المنتشرة في انحاء المغرب .. وتقوم وزارة الأوقـاف والشؤون الاسـلامية الآن بفهرستها وتنظيمها .

ومما يجب الاشارة اليه هنا المكتبات الخاصة ، فهي كثيرة ، لا يخلو بيت من البيوتات الكبرى ، وخاصة بيوتات أهل العلم من مكتبة علميـة تختلف أهميتهـا باختلاف احوال الأسرة .

● سؤال أرجو أن يكون أخيرا بعد هذه السياحة الطويلة في معاهد المغرب ومكتباتها ..

ما العلاقة بين الثقافة المغربية الحديثة والتوجيه الاسلامي ؟
وما حظ التربية الاسلامية من مناهج التعليم ؟

وتفضل الأستاذ السايح فقال :

ـ اختم بما بدأت به .. وإن حوادث الواقع خير ترجمان لما سألت عنه .. اعني بذلك استجابة المغرب لمتطلبات المعركة الأخيرة ، ولعلك شاهدت معي على شاشة التلفزيون الكويتي جلالة الملك الحسن الثاني يبعث قـواده بعلم المغـرب ليقفوا بجانب إخوانهم في معركة الشرف .

أقول : إن هذا الموقف ليس مجرد صدفة ، ولا هو رد فعل للحظة عابـرة ، إنه نتيجة لميراث أجيال ، وتربية قرون طويلة ، تؤكد دائما أخوة الإسلام .

ولذلك فإن التعليم في المغرب هو تعليم إسلامي قبل كل شيء ، اعني أنه في مجموعه يخضع للتوجيه الاسلامي ، سواء من حيث المواد ، أو الهدف التربـوي أو عدد الحصص .

وإن كنت ـ شخصيا ـ اعتقد أن رسالة البيت والمجتمع ـ قبل ذلك ومعه وبعده ـ أشد خطرا في هذا الجانب ، واهم بكثير من المدرسة .

● ● ●

وعشرات الأسئلة ما زالت في راسي ، وأشفقت على وقت الضيوف الكرام ، وقدرت أن ما بقي سوف يكون مفتاحا بالأشواق ـ في قلبي وقلب كل مشرقي ـ الى المتابعة والدرس والالتحام الفكري .. وعسى ان يكـون ذلك في كل بقـاع الإسلام .



حكم المسلم الذى يتعامل مع اسرائيل

السؤال :

ما هو حكم المسلم الذى يعاون او يتعامل مع اسرائيل .. ؟

آدم اسماعيل ــ مقديشيو

الاجابة :

المسلم هو الذى يلتزم أحكام الدين ، ويتولى الله ورسوله والمؤمنين . ويقاطع من هو عدو لله ورسوله وللمؤمنين ، فلا يعــاملهم ، ولا يعاونهم ، ولا يواليهم ، والاسرائيليون احتلوا أرضنا ، وشردوا أخواننا ، وخربوا ديارنا ، وقتلوا نساءنا وشبابنا ، فهم أعداؤنا وأعداء الله ، وكل من يعاونهم ويساعدهم بالعمل فى مصانعهم ، ومتاجرهم ، ومنشآتهم ، يشد أزرهم ، ويعينهم على ظلمهم ، وكل من يواليهم من المسلمين ببيع الاسلحة ، أو الاطعمة ، أو ترويج سلعهم ، ومصنوعاتهم ، منافق ، بعيد عن روح الاسلام ، قال تعــالى : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمــودة)) ،** وفى القرآن الكريم ما يدل صراحة على أن من يتولى قوما فهو منهم قال تعالى : **((ومن يتولهم منكم فانه منهم))** . ومعنى هذا أن من يتولى الصــهيونيين فهو منهم ، وقال تعالى : **((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله))** .

حكم التجسس للأعداء

السؤال :

ما حكم من يتجسس لاسرائيل ويدلى بمعلومات عن قوة المســلمين .. ؟

ذهب سعيد ــ السودان

الاجابة :

ان التجسس لأعداء المسلمين من أفحش الجرائم ، وأعظمها خطرا على الاسلام والمسلمين ، ومن أشدها اثما وعقابا فى الدنيا والآخرة ، وليس فى الجرائم ما يشبهها خزيا وعارا ، لأن التجسس لأعداء الله فى حقيقته بيع مال المسلمين وأوطانهم وارواحهم لأعداء الاسلام بثمن بخس يأخذه الجاسوس المجرم لنفسه .. ان الجاسوس يكشف عورات البلاد ، ومقاتلها ، ومداخلها ، ليدخل منها العدو .

والذى نميل اليه فى حكم الجاسوس المسلم لأعداء المسلمين انه إن كــان يفعل ذلك عن عمد وسوء قصد ، واتخذ هذا العمل حرفة فانه يقتل ، وهذا ما تقضى به القوانين المدنية ، وهو موافق لأحكام الشريعة حماية للمسلمين ، وصونا لدمائهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وأوطانهم .

الدفاع المدنى
جهاد فى سبيل الله

السؤال :

هل يعتبر المشتركون فى الدفاع المدنى من المجاهدين فى سبيل الله .. ؟

عبد اللطيف اسماعيل ـ السويس

الاجابة :

الدفاع المدنى ضرب من الجهاد ، لأن المسلم الذى يقف فى المدينة أو القرية وقت الحرب يحرس المسلمين ، ويحفظهم من التهلكة ، ويساعد فى علاج الجرحى ، واطفاء النار ، ورفع الانقاض ، وتنبيه اخوانه الى الغارات الجوية ، وطرق الوقاية من أضرارها ، هذا ولا شك مجاهد فى سبيل الله اذا كان يقصد بهذا العمل ابتغاء مرضاة الله والدفاع عن الاسلام والمسلمين وحرماتهم .

اخراج القيمة
فى الزكاة والكفارة

السؤال :

هل يجوز شرعا اخراج القيمة فى الزكاة والكفارة .. ؟

عمام العجيل ـ الاردن

الاجابة :

المعروف فى مذهب مالك والشافعى أنه لا يجوز ، ويجوز عند ابى حنيفة .

أما أحمد فقد منع القيمة فى مواضع وجوزها فى مواضع .

يقول ابن تيمية : والأظهر ان اخراج القيمة لغير حاجة ولا مصلحة راجحة ممنوع ، وأما اخراج القيمة للحاجة أو المصلحة فلا بأس به ، ومن الحاجة التى ضربها ابن تيمية مثلا ان يكون المستحقون للزكاة طلبوا منه اعطاء القيمة لكونها انفع لهم فيعطيها اياهم .

تعجيل الزكاة

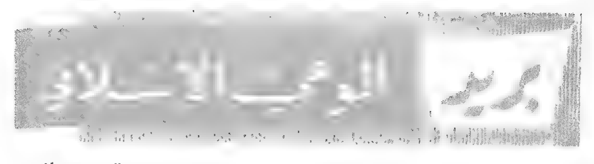
السؤال :

اشتغل بالتجارة وأخرج زكاتها كل عام والحمد لله ، وفى هذا العام عرضت ظروف تحملنى على اخراج الزكاة قبل مضى الحول ، فهل يجوز لى شرعا تعجيل الزكاة .. ؟

مسلم ـ الكويت

الاجابة :

تعجيل الزكاة قبل وجوبها يجوز عند جمهور العلماء كأبى حنيفة والشافعى وأحمد ، وفى (المسائل الماردينية) لابن تيمية : يجوز تعجيل زكاة الماشية والنقدين وعروض التجارة ، اذا ملك النصاب ، ويجوز تعجيل المعشرات قبل وجوبها اذا كان قد طلع الثمر قبل بدو صلاحه ، ونبت الزرع قبل اشتداد حبه ، فاذا اشتد الحب ، وبدا صلاح الثمر فقد وجبت الزكاة .



اعداد : عبد الحميد رياض

افريقيا وعلاقتهـــا باسرائيـــل ..

● ما هي الدول الافريقية التي قطعت علاقاتها الدبلوماســية باسرائيل حتى الآن .. وكم عدد الدول الافريقية التي لم تقطع علاقاتها بعد .. ؟

ــ الدول التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل هي :

غينيا ، أوغندا ، تشاد ، الكونغو الشعبية ، النيجر ، مالي ، بوروندي ، توجو ، زائيري ، داهومي ، رواندا ، فولتا العليـا ، الكميرون ، غينيـا الاستوائية ، تانزانيا ، مالاجاشي ، (مدغشقر) جمهورية افريقيا الوسطى ، أثيوبيا (الحبشة) ، نيجيريا ، زامبيا ، جامبيا ، غانا ، السنغال ، جابون ، كينيا ، ليبيريا ، ساحل العاج .

أما الدول التي لم تقطع علاقاتها بعد فهي :

جنوب أفريقيا ، بوتسوانا ، مالاوى ، ســوازيلاند ، ليسوتو ، ومرويشوس (جزر تقع الى الشرق من مالاجاسي) .

بالاضافة الى ستة اقاليم لم تحصل على استقلالها بعد وهي :

أجولا ، ناميبيا ، الصحراء الاسبانية ، روديسيا (تحكم من غير اهلها بشكل عنصري) ، موزمبيق ، الصومال الفرنسي ، بالاضافة الى أرتيريا التي تخضع لاشراف اثيوبيا وهي تكافح من أجل الاستقلال .

ومن المعروف أن هذه القارة تعتبر بالنسبة لاسرائيل مكانا خصبا لتصدير بضائعها والاستفادة من خلوها من البضائع العربية ، والانتفاع بمعادنها ، مع العلم أن أفريقيا قارة غنية جدا بالمعادن بل تعتبر اولى القارات في انتـــاج الماس والذهب واليورانيوم والتصـــدير والنحاس والمنجنيز وخام الالمنيوم والفوسفات .

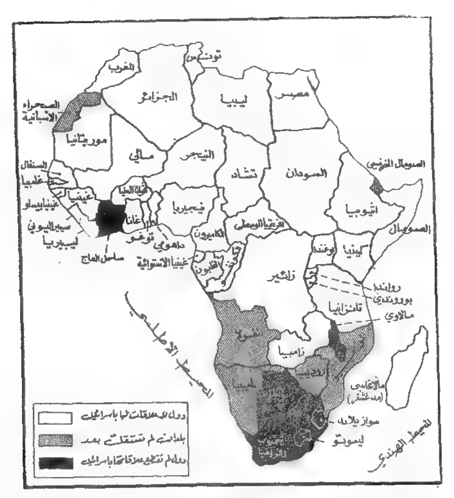
لذلك يعتبر قطع علاقاتها باسرائيل ضربة قوية موجهة الى الاقتصـــاد الاسرائيلي وهزة عنيفة في كيانه وعلى امتنا العربية أن توفر البديل لأفريقيا حتى تنقطع صلتها نهائيا باسرائيل ، خصوصا وان القارة يشكل سكانها نسبــة كبيرة من المسلمين ويمكن ان تكون القارة المسلمة كلها بنشر المعرفة الواعيــة المستمدة من وحي القرآن والهدى النبوي وبقليل من الجهد .

قطع البترول

لقد كرهت بريطانيا جدا لدعايتهـــا اليهودية هذه الأيام فهم يجســدون انتصـــارات اسرائيل رغم معرفتهم جيدا أننا العرب منتصرون ولقد كان خبر قطع البترول صدمة كبيرة لبريطانيا .. فسوف تزيد أسعار البترول هنا وكذلك المواصلات .. وكل فرد في الشارع يتكلم عن أهمية سلاح البترول .

ان شركات الاذاعة والتلفزيون ومعارض السيارات الكبرى أصـــحابها يهود وكذلك الصحف والمجلات ويحاولون باستمرار تحطيم أعصـــاب العرب بالحرب الاعلامية .

ن . ر لندن



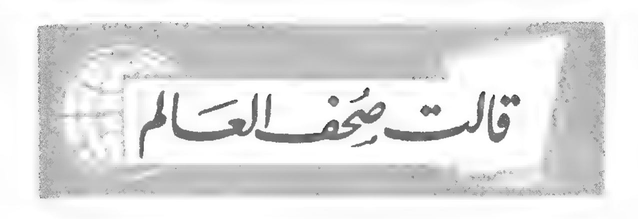
خريطة لدول افريقيا بعد قطع الاكثرية لعلاقاتها باسرائيل

دســــــائس يهودية

أثناء تراءتي لمجلتكم الغراء (العدد ١٠٢ السنة ٩ اول يوليو ١٩٧٣) لاحظت في زاوية (بريد الوعي الاسلامي) استفسارا من أحد الاخوة القراء من ليبيا عن محاضر تكلم عن (الآيات الكونية) واصفا الله سبحانه بـ (مهندس الكون الأعظم) . وقد كان جواب المجلة وافيا على ما أظن الا أنى وددت أن أضيف بأن (ادخال) بعض اللفظات الوصفية فى الدراسات الاســــــلامية تتطلب فى احيان كثيرة الحذر الشديد من الاندساس الخطير الموجه من قبل قوى اليهودية العالمية ضد الاسلام والمسلمين .

ان عبارة (مهندس الكون الأعظم) انما هي عبارة تستخدم في المحافل الماسونية التى تعمل بتوجيه من اليهود فى أنحاء العالم .. وهى عبارة شائعة بين الماسونيين فى مختلف الدول حين التطرق الى لفظة الجــــلالة . بامكانكم مراجعة كثير من الكتب التى تبحث فى (الماسونية) لتجدو اثبات ما أقول . ولربما كتاب (دائرة المعارف الماسونية) يتضمن دلائل هامة فى هذا الحقل .

عبد السلام البهرى



دروس من الحــج

ليس فيما فرض الله من عبادات لها شمول الحج واتساعــه وبعد أثره ، وكأنه إنما وقع فى نهاية العام الهجرى وفى آخر شهر من أشهره ، ليكون خاتمة المطاف ينتهى إليه المسلم بعد أن أدى فروضــه فى خلال العام ، وترك كل فرض منها أثره فى نفســه ، فاذا ما انتهى الى نهاية العام جاءت فريضة الحج شــاملة لكل تلك الآثار ، مركزة لها فى نفســه مرسخة لها فى أعماقه .

الحج عبادات فى عبــادة :

ففى نفس المسلم من فريضة الصلاة آثار من طهارة القلب والنفس والجسم واعتياد على التذلل والخشوع لله ، وتعود على التزام النظام . فاذا كان الحــج كانت الطهارة مفروضة لمدة أطــول ، وكانت شاملة للقلب والنفس والجســم واللســان ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ، وكان ذكر الله والتضرع اليه والتذلــل بين يديه فى كل خطوة وكل حركة ، لأن الحج ذكر لله فى أيام معلومات . وكان النظام فى شعائره أشد وأقسى ، فليس فيه انفراد عن الجماعة ولا قضاء بعــد فوات الموعد ، وكان لزاما على الحاج أن يتقيد بكل ما تقتضيه فريضة الحج من أداء للشعائر فى أماكنها واوقاتها .

وفى نفس المسلم من آثار الصوم صبر وحرمان وتقشف ، فاذا كان الحج كان الصبر أشد ، والحرمان اقسى والتقشف أكثر ، فما أهون الصبر ساعات على ترك الطعام فى رمضان فى مقابل الصبر فى الحج على مشقة السفر ومغادرة الأهل والولد ، والصبر على الحر ، والصبر على التنقل من مكان الى مــكان ما بين طواف ووقوف فى عرفات وإفاضة ورمى وطواف وسعى ، وكان الصبر على ترك اللباس وهجر الزينــة والتنعم ولين العيش ، وكان الصبر على الزحام سواء فى الانتقال أو الطواف أو رمى الجمار ، وكان الصبر على مخالطة الناس والمرء صابر ساكت ملجم اللسان لا يناقش ولا يجــادل ولا يغضب لأنــه فى حج ، و « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جــدال فى الحج » .

وفى نفس المسلم من اثر الزكاة تعود على البذل والعطاء ، فاذا كان الحج ازداد البذل وكثر السخاء ، يبذله لركوبه وطعامه وصدقته ولمن خلفه وراءه من أهل وولد . انه فرض على من استطاع إليه السبيل ، وذلك أن الله تعالى يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . »

وهكذا كان فى الحج اثر من آثار الصــلاة والصيام والزكاة ، وكان فيه

تثبيت لآثارها وترسيخ ، وكان الحج شعائر فى شعيرة ، وعبادات فى عبادة . وكان درسا فى الطاعة ، ودرسا فى الصبر ودرسا فى البذل .

الحج درس فى الوحـــدة :

وذلك ان فى الحج إعلانا لوحدة الهدف ، إذ تجتمع الأمة فى زمان معين فى أشهر معلومات ، وفى مكان معين عند بيت الله الحرام ، وفيما حوله من بقاع مباركة فى واد غير ذى زرع ، تعبد إلها واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وتطوف ببيت واحد طهر للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وتستقبل قبلة واحدة امرت أن تتجه اليها « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » وتقوم بكل شعيرة من شعائر هذه الفريضة ومناسكها فى ظل نظام واحد معلنة فى كل خطوة من خطاها وفى كل تصرف من تصرفاتها إنها أمة واحدة « إن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون . »

الحج درس فى المساواة :

واى مساواة أبلغ من اجتماع مئات الآلاف من المسلمين فى ظل نظام واحد لا يفرق بين أميرهم وســوقتهم ، ولا بين غنيهــم وفقيرهم ، ولا بين كبيرهــم وصغيرهم ، وإنها المساواة التى فرضت عليهم فتقبلوها طائعين مختارين فرحة بها قلوبهم ، هنيئة بها نفوسهم ، وهى مساواة أعلنتها وحدة المظهر ووحدة الزى حين اجتمعوا فى صعيد واحد متجردين من ثيابهم تلك التى كانت تعلن تفاوتهم، وتفرق فيما بينهم ، دالة بأناقتها وجدتها على غنى أصحابها او سمو مناصــبهم أو قوة سلطانهم ، أو دالة برثاثتها وخلوقتها وقدمها وبلاها على فقر أصحابهــا وحرمانهم ، إنهم الآن جميعا فى ثياب بيضاء غير مخيطة تســوى بينهم هجرهم للفوارق الدنيوية ، مذكرة بما سيؤولون إليه يوم يأتزرون بالأكفان البيضاء ، دالة بنقاء ظاهرها على نقاء باطنهم ، معلنة على العالم بثقة هكذا فلتكن المساواة ، هكذا يسوى الاسلام بين الناس .

الحج درس فى الأخوة الانسانية :

لست أعرف منظرا أروع فى إظهار الأخوة بين الشعوب من مظهر الحجاج ، وقد جمعهم مكان واحد فى زمان واحد لهدف واحد ، فجاؤوا رجــالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ملبين للدعوة الكريمة ، محققين للفريضة السامية فإذا هم على صعيد واحد ، وبمظهر واحد فى ظل نظام واحد لا طبقية فيه ولا تفاوت ، لا حدود فيما بينهم ولا سدود ، آخت بينهم العقيدة التى لا انتساب يومئذ الا اليها ، وهى عقيدة لا فرق فى ظلها بين أسودهم وأبيضهم ، إنهم « إخـوة » لأب واحد ، كلهم لآدم عليه السلام ، وهم « أخوة » لإيمان واحد ، « إنما المؤمنون إخوة » ، واذا كان بينهم تسابق أو تنافس فعلى منفعة إخوانهم لأنهم « كلهم عيال الله واحبهم الى الله أنفعهم لعياله » ، وإذا كانت بينهم طبقات فليست على أساس من عرق أو نسب ولا على أساس من مال أو سلطان ولكن على أساس من التقوى « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبـائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير » صدق الله العظيم .

بأقلام القراء

المبـــــدا هو الــدين

ما هو مبدؤك ؟
الاســـــلام . . .
عجبا وهل من يدين يدين يتخذ مبدأ سواه .
عجباً وهل من يدين يدين يتخذ مبدأ سواه .
الدين علاقة بين الفرد وربه ، وليست له علاقة بالمبادىء .
عجبا ومن اين اتيت بهذا الفهم .
هكذا يقول الناس .
إن الناس يقولون الصحيح والخطأ ومن الضــروري أن نزن اقوالهم ونفحصها فحص الخبير .
والعلماء يقولون مثلهم ايضا .
هل أنت متأكد من ذلك . وهل تسمح أن تذكر لي اسم عالم من هؤلاء العلمــــاء .
لا اعــــــرفهم .
الأصل الا يخوض الانسان في شيء لا يعرفه ولكنني مع ذلك لا أريد ان احرجك فأحب أن اقول أن فهمك للدين قد جـــانب الصــــواب .
قل لي اذن انت ما هو الدين الذي تدعو اليه ؟
الدين هو الطريق الوحيد الذي يجب ان تسلكه البشرية في حياتها الفردية والعائلية والدولية والاقتصادية والسياســـية والاجتماعية والأخلاقية والتعبدية والفكرية .
من أين اتيت بهذا الكلام ؟
اليست كلمة الدين كلمة عربيـــة ، فافتح القاموس وشاهدها ان كنت لا تصدق قولي .
هذه أول مرة أسمع هذا الكلام .
لأنك لم تقرأ القــرآن « دستور الاســـلام » قراءة متدبر في حياتك ابدا .

وماذا يقول القرآن ؟

القرآن يؤيد المعنى اللغوى لمعنى كلمة الدين ، فلقد قال الحق تبارك وتعالى : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

إننى لم أفهم ما تقول .

اننى أعنى أن مفهوم الدين غير ما يتبادر الى اذهان الكثيرين .

هل تعنى انهم لا يفهمون شيئا .

لا اقول ذلك . ولكننى أقول انهم لم يفهموه من مصدره الأصلى. وكل فهم مقطوع عن مصدره الأصلى عرضة للخطأ .

اذا كان مفهوم الدين كما تقول فكيف يصلح لهذا الزمان ؟

يصلح لهذا الزمان لأن الذى أنزله خالق الزمان والمكان .

ولكن الدين الذى تتحدث عنه لم يعد صالحا لهذا الزمان .

ومن قال ذلك ؟

لأن المدنيـــة ظهرت والعلم قد تقدم .

لقد جاء الاسلام ليرسم القواعد الأصولية والمبادىء الأساسية التى تحتاجها البشرية فى كل زمان ومكان ، ولن تستغنى عنه المدنية مهما تقـدمت . وسيكون رفيقا للمسلم من أن يســاء استعماله للشر .

لقد انتقضى عهد الخيام ، فلماذا نعود اليها ؟

ليس من أركان الاسلام الجلوس فى الخيام ولا يوجــد نص يجبرك على ذلك .

لا ، أن الاسلام دين رجعى لا يصلح لهذا الزمان .

لا تغرّنك يا أخى الالفاظ فالاسلام هو الدين الحق الوحيد ، دين العدالة ، دين البشرية جمعـــاء ، الدين الذى أنزله رب العزة . ما يضيرك يا أخى اذا كان رجوعك الى الحق والعدالة والفضيــلة .

إن كل شىء قد تغير ولا بد أن يتغير ذلك الشىء الذى تتحدث عنـــه .

إنك لم تحدد معنى التغير حتى نستطيع أن نتعرف فيما اذا كان هذا التغير (الذى تتحدث عنه) سيجعل الاسلام غير صالح لهذا الزمان . اسمعنى جيدا إن الانسان لم يتغير طيلة هذه المدة ، فكيف يتغير المبدأ الذى يجب ان يحمله ؟

كيف لم يتغير ؟.

نعم إن الانسان لم يتغير حتى لو تغيرت البسته وحاجاته .
الانسان هو الانسان لم يتغير .

ان هذا راى غريب على" .

ليكن غريبا فهو حقيقة . ان الذى تغير هو الوسائل فقط . .
والوسائل لم تغير من الانسان .

ان الناس جميعا لهم رأى آخر .

لا ادرى من الذى خولك أن تنطق باسم الناس جميعا . اليس باستطاعتى ان اقول ان رأى الناس مطابق لما اقدمه من آراء .

دعنا من الفلسفة .

إنها ليست فلسفة بل حقائق واضحة . ومع ذلك فلنفرض أن راى الناس كرايك ، فلن يقدم ذلك فى الموضوع ولن يؤخر ،

هكذا اعتقد ، انه كلما تقدمت الدنيا يجب أن تتغير المبادىء .

هذا رأى خطير وطامة كبرى . ان حاجات الانسان لم تتغير ،
فالمهم الدليل ، فما هو الدليل على صحة ذلك ؟
ومطالبه لم تتغير وحقوقه لم تتغير ، فالصدق فضيلة ويجب أن يبقى فضيلة مهما تقدم بنا الزمن .

كلامك صحيح ، ولكن الاسلام يقيد تصرفاتنا .

نعم الدين هو ، انه لا يمنع شيئا الا اباح لك اشياء .

ولكن لدى الآن موعد على مائدة من موائد الخمر ، فهلا ارجأت النقاش الى موعد آخر حتى لا تضيع علينا المتعة .

وهل هذه المتعة اعز عليك من مصيرك ومصير أمة ؟ هداك الله ووقاك شر المعصية .

● لقد كانت الكويت فى نطاق علاقاتها العربية دائبة طيلة العام المنصرم على مواصلة سياستها الثابتة الرامية الى اقامة أوثق علاقات الاخوة والتضامن مع الدول العربية الشقيقة انطلاقا من شعورها العميق بخطورة المرحلة التى تجتازها الأمة العربية .

الخطاب الأميرى

أخبار العالم الاسلامي

اعداد الاستاذ : فهمى الامام

الـكويت :

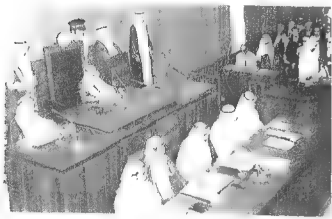
● تلقى سمو أمير البلاد المعظم رسالة خطية من الرئيس الليبى معمر القذافى تتضمن وجهة النظر الليبية من الحرب العربية الاسرائيلية .

● افتتح سمو أمير البلاد المعظم فى ٣١/١٠/ الدورة الثانية من الفصل التشريعى الرابع لمجلس الأمة .. وقد تلا الخطاب الأميرى فى الجلسة سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء . وركز الخطاب على دور الكويت فى التضـامن العربى ومؤازرتهـا ومشاركتها الفعالة فى كل القضايـا العربية المعاصرة .

● شهدت الكويت نشاطا سياسيا ودبلوماسيا واسعا ، فقد زار الكويت كل من الرئيس المصرى محمد أنـور السادات ، والرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الجزائرى هـوارى بومدين ، وجلالة الملك حسين ملـك المملكة الأردنية . واجتمع كل منهم بسمو أمير البلاد المعظم . وتم البحث فى الاحداث التى تعيشها المنطقة .



● اجتمعت اللجنة الوزارية لدول الخليج العربى المنتجـة للنفط فى الكويت ، وحضر الاجتماع ست دول عربية هى : الكـويت والسعوديـة والعراق وابو ظبى وقطر والبحـرين كما حضرته ايران ، وقد تقـرر فى الاجتماع بصورة نهائيـة رفع سعـر سعر النفط الى نسبة ٧٠٪ .



● اكد وزير الداخلية والدفاع أن الكويت ترحب بعقد مؤتمـر لوزراء الخارجية والدفاع العرب او اى مؤتمر عربى آخر وعلى اى مستوى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئـون الاسلامية بتزويد المراكز الاسلاميـة فى العالم بمجموعة من الكتب الثقافية والاسلامية بمختلف اللغات .

● اشاد مجلس الشعب المصرى فى بيانه الذى أصدره مؤخرا بالجهد العسكرى والسياسى والاقتصـادى الذى قدمته الكويت لمعركة التحريـر العربية .

القاهرة :

● قال الرئيس أنور السادات فى مؤتمره الصحفى الأخير : ان اسرائيل أول من تعلم بأن موقفها العسكرى فى الضفة الغربية للقناة « هش » وأشار الى استعمال إسرائيل لأسلحة أمريكية لم يستعملها الجيش الأمريكى نفسه .

● أصدر مجلس الشعب المصرى بيانا أعلن فيه ثقته بقيادة الرئيس السادات وأشاد بدور الزعماء والملوك العرب فى المعركة .. وأشاد ببطولة وقدرة الجيوش العربية .. ودعا الى المزيد من التضامن العربى الفعال .

السعودية :

● زار السعودية كل من الرئيس المصرى انور السادات والرئيس الجزائرى هوارى بومدين وجلالة ملك الاردن .. وقد اجتمع كل منهم بجلالة الملك فيصل .

● تأثرت ثلاث دول بالحظر الذى فرضته المملكة العربية السعودية على نفطها وهى الولايات المتحدة الامريكية وهولندا وجنوب افريقيا .

سورية :

● أعلنت سورية انها لن تتخلى عن حبة رمل واحدة من التراب السورى ، وأنها ستبذل كل ما فى وسعها لاسترداد الأرض المغتصبة .

● دعت سورية الدول العربية الى الاحتفاظ باستعدادها القتالى لتستأنف حربها العادلة ضد اسرائيل فى اية لحظة ، وقالت : ان الذين يعتقدون أن الحرب انتهت واهمون ، لأن اسرائيل لن تنفذ قرار مجلس الأمن ولن تنسحب من الاراضى العربية التى احتلتها الا مرغمة وبعد أن يحطم الجيش العربى ما تبقى من غطرسة لدى المؤسسة العسكرية الصهيونية .

قطر :

● أعلن الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشورى أن قطر عن بكرة أبيها قامت بتقديم كل ما وسعت طاقتها ، وأنها ستواصل تكريس أموالها ومواردها وكل ما تملك من أجل اداء الواجب الأخوى وحتى تتحرر كل الأراضى العربية المغتصبة ، وتعود كل الحقوق المسلوبة الى أصحابها الشرعيين .

الجزائر :

● دعت الجزائر الى عقد مؤتمر قمة عربى بها .. لتدارس الموقف وما يجب اتخاذه فى المرحلة الراهنة .

المغرب :

● دعت المغرب الى عقد مؤتمر لوزراء الخارجية والدفاع العرب لتدارس الوضع الحالى وما يجب اتخاذه .

الاردن :

● صرح جلالة الملك حسين بأن الحرب مع اسرائيل لم تصل بعد الى نهايتها .

ليبيا :

● قام الرئيس معمر القذافى بزيارة عدد من الدول العربية لمناقشة الموقف الراهن وتطوراته .

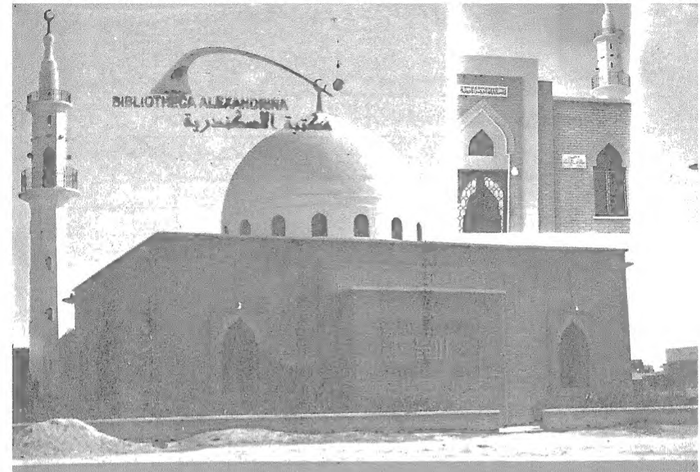
اخبار متفرقة

اوغندا :

● حذر الرئيس الاوغندى الدول العربية فى برقية ارسلها الى الرئيس المصرى من أن اسرائيل ستشن هجوما مفاجئا ، ودعا المسئولين الى اليقظة والاستعداد للأمر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٣	نوفمبر ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٢٦	٤ ٤٨	٦ ٢٠	١١ ٣٥	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١٠	١٢ ٠٠	١ ٣٢	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢
الثلاثاء	٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الأربعاء	٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الخميس	٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الجمعة	٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
الأحد	٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الأربعاء	١٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الخميس	١١	٦	٥٥	٢٨	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الجمعة	١٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
السبت	١٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الأحد	١٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	١٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الثلاثاء	١٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الأربعاء	١٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٤٢	٤٢	٢٣
الخميس	١٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٤٢	٤٢	٢٣
الجمعة	١٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٤٢	٤٢	٢٤
السبت	٢٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٤٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأربعاء	٢٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الأحد	٢٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٤٣	٤٢	٢٤



مسجد
خالد بن الوليد ـ بالمنصورية ـ كويت

اسمه : خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن كعب .

إسلامه : هاجر مسلما فى صفر سنة ثمان .
ويروى انه بعد إسلامه اقبل على اللات والعزى قائلا :
كفرانك لا سبحانك — إنى رايت الله قد اهانك

جهاده : كانت حياة خالد حافلة بالشجاعة والبطولة والانتصارات .. وكان قائدا إسلاميا عظيما ، شهد غزوة مؤتة ، بعد استشهاد الأمراء الثلاثة الذين امرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الجيش ـ وهم زيد وجعفر وابن رواحة ـ اخذ خالد الراية وقاد الجيش الى الى النصر ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله ، حيث قال : إن خالدا سيف سلّه الله على المشركين .

حياته : عاش خالد رضى الله عنه حياة كلها كفاح وجهاد فى سبيل الله ، شهد الفتح وحنينا ، وتأمَّر فى أيام النبى ، واحتبس ادراعه ولامته فى سبيل الله ، وحاصر دمشق وافتتحها هو وابو عبيدة .

وفاته : عاش خالد ستين عاما .. ولما حضرته الوفاة قال : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراش حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت اعين الجبناء .

توفى بحمص سنة إحدى وعشرين ودفن بها .. وروى انه لم يترك بعد موته إلا فرسه وسلاحه وغلامه ، فقال عمر : رحم الله أبا سليمان كان على ما ظنناه به .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

المغـرب : الدار البيضاء ـــ السيد احمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الاردن : عمـــان : وكالة التوزيع الاردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ـــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عهد المرزوق الصحفية — الكويت